

ÉTUDE BIBLIOGRAPHIQUE

SUR LES

موسوعة الخليل لعنت الله
موسوعة الخليل لعنت الله

ENCYCLOPÉDIES ARABES

وبحث على
(رسائل اخوان الصفا)

تأليف

أحمد زكي

مترجم مجلس النظار

ومترجم شرف الجمعية الجغرافية المدبوية

والتزم طبعه حضرة محمود افندي أنيس

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف)

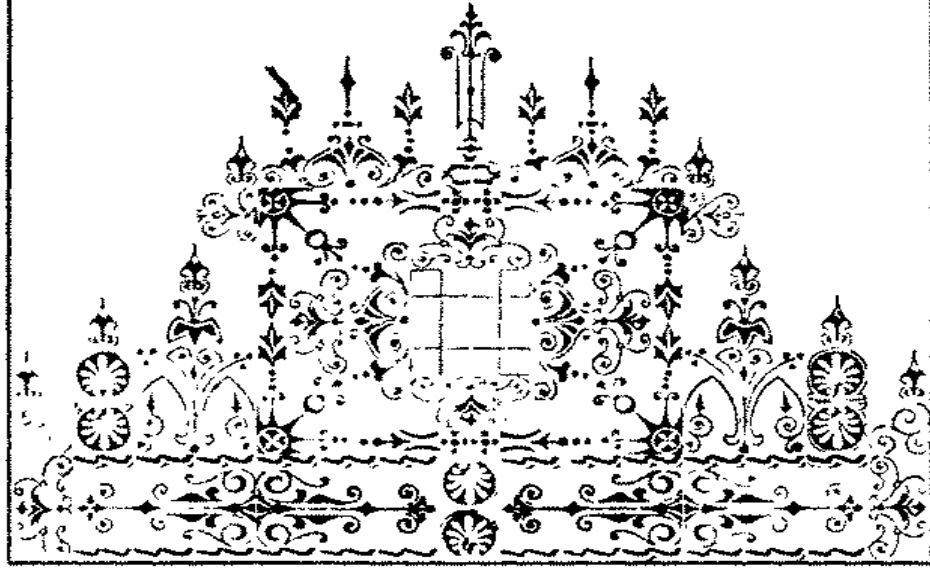
(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الاميرية بيولاقي مصر المحمية

سنة ١٣٠٨

هجيرية

سنة ٢٠١٢



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

نحمدك اللهم على ما افضت من الحكم البدائع ونصلي ونسلم
على سيدنا محمد الذي آتيت به الكلام الجوامع وعلى آله وأصحابه
وكل تابع

(وإسعد) فهذه رسالة صغيرة تضمنتها خلاصة أبحاث غزيرة
وألعاب كثيرة وصلت في سبيل الوصول الى وصالها سواد الليل
ببياض النهار وأكثر من مساءلة العلماء وامعان النظر
ومراجعة الاسفار حتى فتح الله على بشي مما طلبته ووفقتني
بمنه وكرمه الى تحقيق بعض ما أملت فادعته هذه العجالة
وقدمتها الى أهل الفضل والنبالة بعد ان ترددت طويلا بين

الاقدام

الاقدام والاحجام لعلى باحلال عروة الوثام بين الانام في هذه
الايام وأن موقف التصنيف تزل فيه الأقدام ولا يصيب
صاحبه الاسهام الملام وكلام الكلام ولكنني غلبت على
هذه الافكار وأيت الا الركوب في تيار هذه البحار اقتداء
بمن سلكها من الاول (وكل من سار على الدرب وصل)

ومما حداني على ذلك ان البحث الذي اخترته جديد في لغتنا
ولم يلتفت اليه أبناء عصرنا (١) مع ان الافرنج وقوة حقه
من الاعتبار وأفردوا في تأليفه الكتب الكبار بل انهم
ركبوا له اسما يطابق معناه ويميزه عن كل من سواه أعني
الببليوغرافيا فهي كلمة مركبة من لفظين يونانيين وهما بيليون
أى كتاب وجرافيا أى الوصف والمعنى المقصود من اللفظ المركب
وصف الكتب والذي أراه في تسميته بالعربية ان يقال علم
الكتب وهو علم يبحث فيه عن المؤلفات ووصفها والكلام
عليها وترتيبها والمعتبر فيه انما هو ثلاثة أمور أصلية ترتيب
الكتب ثم وصفها ثم استعمال المصطلحات (القواميس) الكتابية

(١) فلم أعتد بطول المطالعة والبحث على شئ من هذا القبيل سوى ان صاحب
كتاب اللعة في أصول اللغة عقد فيه فصلا ضمنه أسماء الكتب المدونة في اللغة
مرتبة على حروف المعجم استقرأه من كشف لظنون وزد عليها بعض لكتب
التي تم تأليفها بعد الكشف وأورد فيها أيضا أسماء الكتب الفارسية والهندية
المختصة باللغة

ككشفت الظنون مثلا * وقائدة هذا العلم ظاهرة
ولكنه لم ينتشر بكيفية كافية فلم تكثر فيه التأليف
ولم يقع من علمائنا كبير اهتمام به حتى كانوا ينيلونه قسطة
من الكمال ونظرة من الاستيفاء شأنهم في كل فن جدوا فيه
واهتموا به ولا يمكن القوم فتحوا بابيه بمنزل كتاب الفهرست
والقصيدة الياثية وكشف الظنون التي سيكون لنا عليها قول
بعد فوجب شكرهم

وقد وصل الينا هكذا غير مستوف فتعين علينا نحن أبناء هذا
العصر أن نشط الى استيفائه واكمله والادعينا مقصرين في
اتمام عمل شرع فيه الاوائل منا على كثرة فوائده وشرفنايته
أو قاصرين عن الاتمام اوجاهلين بمزايا هذا الفن وكلها خطط
مرذولة فقد كتبت هذه الرسالة فتحا لباب الاستيفاء ودعاه
للغواطر الى الجرى وراء هذه الغاية فانه بلغ من اهتمام الافرنج
به ان في بلادهم جرائد خاصة بالكتب والمطبوعات واوفر حظ
ناله هذا الفن هو في بلاد الانكليز فالمانيا ففرنسا ورجاؤنا أن
يصبح عندنا قريبا وقد نال بعض نصيبه من الكمال ان شاء
الله تعالى بمنه وكرمه

المقدمة

مضى على العرب زمان جاهليتهم وهم يتخبطون في بوادي
الجهالة ويهيمون في فيافي الغواية حتى جاءهم حين من الدهر
هبوا فيه من غنلتهم واستيقظوا من غفوتهم فخاروا الامم
في ميدان الحضارة فسبقوهم وباروا الشعوب في مضمار
التقدم فنفضلوه ثم وردوا حياض المعارف على ظمأ فنهلوا
منها وعلموا ودخلوا الثنون من ابوابها فكان لهم منها الحظ
الاكبر والنصيب الاوفر

وقد حفظوا معارفهم في الصدور والسطور لانهم علموا
لزوم بقائها للخلف فقيدوا ماوصلت اليه مداركهم السامية
بعد البحث والاجتهاد في بطون الاوراق لتكون دليلا على
المزايا الجليلة التي تحلوا بها والاذهان الرائقة التي اودعها
فيهم الباري جل وعلا وانهم وايم الحق عنوان الشرف
ونموذج (١) الاجتهاد بل هم مثال البلوغ الى الغايات الذي
ينبغي على جميع الامم الاقتداء به ليتسخوا غارب المجد ويمتطوا
صهوة النخار ويكون لهم في الوجود شأن يذكر

لذلك اجتهد الافرنج بعد ان نقلوا العلوم عن العرب في فتح
المدارس الفعيمة لتعليم لغات الشرق والتخريج في معارفه

(١) النموذج بالفتح المثال والاعودج لحن كما في القاموس

بل انهم بذلوا جهودهم ومالهم في عقد المؤتمرات الدولية التي
ينيل اليها العلماء من كل حدب للمباحثة والجدالة في علوم
اهل الشرق ومعارفهم التي اضاءت العالم بتورها الباهر
هذا ولم يهمل العرب صغيرة ولا كبيرة من أنواع العرفان الا
اقتنصوا شواردها وقيدوا أو ابدوا حتى إنك ترى لهم الرسائل
الطماننة في المواضع التي قلما يخطر بالبال أنهم طرقتها وكل
ذلك بقي لنا أثرا بعد عين بل قد عدنا أسماء كثير من
مؤلفاتهم التي أنبأنا التاريخ بأنها أغرقت في بغداد أو احترقت
في اندلس على إثر دخول هلاكو في الاولى واسترجاع
الاسبانيول للثانية فكان في ذلك هدم جزء عظيم من هيكل
المعارف الذي شاده العرب في زمان عظيم على أساس قويم
ولقد نوات النكبات على مؤلفات العرب حتى كادت تذهب
سدى أو يتولاها الضياع فحسبنا الله ونعم الوكيل
ومن جملة المباحث المهمة التي تفرغ لها المسامون ما يعرف
عندنا في هذه الايام بالانسايكلوبيديا أو الانسكوبديا
(Encyclopédie) فان كثيرا من المتطنلين على المعارف الذين
لاخلاق لهم يضعون منهم في كونهم لم يؤمنوا فيها شيأ مستدين
على ذلك بانه لا اسم موضوعا لها عندهم وهو من المجازفات
التي لا ينهض عليها برهان سوى جهل قائلها وعدم اطلاعه
أوضغينة وسوء نية في قلبه فان من مارس كتب القوم رأى

انهم

أنهم لم يملوها ووضعوا لها اللفظ الذي اخترته عنوانا لهذه الرسالة الصغيرة التي ألفتها بعد طول البحث والتنقيب وأودعتها بعض أسماء هذه الكتب مشنوعة بشرح خفيف أو نقد لطيف فان غرضي انما هو الاعلام بها والتنبيه عليها بوجه الايجاز حتى يعلم القوم انه كان في الزوايا خبايا وفي السويدها رجال ولا يبجل علينا متعصب أو ذو حاجة في النفس والله محيط بما تكنه الصدور وهو أحكم الحاكمين

فصل

في تعريف لفظ انسكلوبيديا

(Encyclopédie)

ما زال المترجمون حائرين الى الآن في نقل هذا اللفظ من العجمة وإلباسه ثوبا من العروبة يليق به ويدل على معناه ولذلك تراهم مختلفين الى فرق شتى في التعبير عنه فمنهم من نطق باللفظ الافرنجى كما هو ورسمه بحروف عربية فقالوا انسكلوبيديا أو انسيكلويديا ولا يخلو هذا اللفظ من القصور وفيه من النفور ما تنجبه الآذان ويلفظه أهل هذا اللسان وقد اصطلمت الكتبخانه الخديوية على تسميته ب(الحاوى) ولكنه لم يتجاوز حيطانها ولم ينل من الشيوخ ماناله الاول على انه معافيه من بعض الملامة والموافقة لا يخلو من التشويش

ولذلك اختار الطبيب الذكربطرس البستاني ان يحلل اللفظ
الافرنجى الشائع ويترجم الكلمات اليونانية المركبة له وذلك
أن انسكوبيديا مركبة من « أن = en » ومعناها (في)
ومن « كوكوس = kuklos » ومعناها (دائرة) ومن
«بيديا = paidia » ومعناها (التعليم) وهذا ما بعثه على تسمية
كتابه المشهور بـ (دائرة المعارف) وهو استخراج بديع ولكنه
صار علما على هذا الكتاب ويكاد أن يتعذر اطلاقه على أمثاله
وقد رأيت في مجلة الطبيب التي كان عديداً (١)
محرريها اللغوي المدقق ابراهيم اليازجي فصلا مفيدا
جدا عنوانه * (بسط وإيضاح) * مدرج في الجزء السابع
عشر الصادر بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤ قال في عرضه
مانصه : قال في موسوعات العلوم (الانسكوبيديا) الامريكائية
الخ ثم أورد في الحاشية عبارة على موسوعات العلوم وهذا نصها
(هو العنوان الذي أطلقه الملا أحمد بن مصطفى على هذا
الجنس من التأليف في كتابه مفتاح السعادة ومصباح
السيادة والمراد بموسوعات العلوم مشتملاتها وما وسع
كل منها (٢) ويقال في جمعه **كتب** موسوعات العلوم) اهـ

(١) يقال فلان عديدي فلان أى يعد فيهم كما في الصحاح

(٢) لعل المراد على ما أرى العلوم الموسوعات من اضافة الصفة الى الموصوف

لانها هي الموسوعة في الكتاب الواسع اهما

كلام الطبيب وهو من الفائدة بمكان عظيم فان كل من اطلع على هذه الجريدة المفيدة علم مكانتها من تحيّر الالفاظ العربية الفصحى وتنقيحها على الشوارد التي لها أصول في متن اللغة ووافق كثيرا من الكلمات الافرنجية التي شاعت في هذا الزمان بسبب جهل النقلة الى هذا اللسان
هذا وقد يمكن التعبير عن امثال هذه الكتب بجماع العلوم أو كتاب موضوعات العلوم كما اصطلى عليه صاحب كشف الظنون والله الهادي الى السداد وهو ولي التوفيق والرشاد

وصـل

في ماهية كتب موسوعات العلوم

ان الاسم الافرنجي الذي يدل على هذا النوع من الكتب قديم جدا وقد استعمله الاديب اللاتيني كوتيليانوس الذي توفي سنة ١٣٠ للميلاد وان كان المسمى حديثا في عالم التأليف والظهور وكان هذا الاسم (Encyclopédie) يدل عند اليونان والرومان على مجموع المعارف التي يجب أن يتحلى بها كل انسان

ويقال ان أول كتاب في هذا المعنى كان للفيلسوف لوسيبيد استاذ ديمقريط اولديمقريط هذا وقد أحاط ارسطاطاليس

بجميع العلوم التي كانت في عصره من آلهى ورياضى وطبيعى
وسياسى

وقد ألف القدماء من اليونان والرومان كتباً تشبه ان تكون
جوامع للعلوم ولكنها كلها خلو من الطريقة المتبعة في كتب
الموسوعات الجديدة التي تمتاز بضم أشتات الفنون وترتيب
العلوم وربطها وأمثال ذلك من الخواص الاصلية في كتب
هذه الايام وأول من حاول هذا الترتيب الجديد في القرون
الوسطى أبو نصر النازاري من أول فلاسفة الاسلام وسيأتى
الكلام عليه وقد اقتناه من الافرنج بوفى الذى ولد في سنة
١١٩٠ م - هجيرة بانه قريب ومات في سنة ١٢٦٤ فانه
ألف كتاباً في ثلاثة مجلدات نال من الشهرة وبعده الصيت
ما لم ينله سواه - حتى ان النسخ التي بقيت منه بخط اليد اتفوق
الحصر والعدد

ثم جاء الفيلسوف فرنسوا باكون فوضع قواعد ترتيب العلوم على
هذا الوجه المعلوم وبهذا يمكن اعتباره أول من ألب في الموسوعات
عند الافرنج ولم يقتد به أهل عصره ولا خائنه في شرح المبادئ
التي وضع قواعدها حتى جاء العلمتان دالمبرت وديدرو وغيرهما
من جهابذة فرنسا فألقوا كتابهم المعروف بـ (الانسكلوبيديا أى
المعجم البيانى للعلوم والفنون والصنائع) وكان ديدرو أكبر
الساعين في انمامه فانه وقف حياته عليه فكان يكتب في الفنون

المختلفة والتاريخ والفلسفة والصناعة والزراعة بل كان كثيرا ما يمضى أياما طوالا في الورش والمعامل يتقلب بين الصناعات وأرباب الحرف ليكون على بينة فيما يكتب ورشده فيما يقول وليصف لاهل عصره أسرار الصناعة عن تدقيق وتحقيق

ولكن هذا الكتاب صادف من العقبات ما كان موجبا لمنعه عن اتمام نفعه فكان الملك يحرمون نشره ومنتشرو البوليس يقتصون أثره ومدير عموم البوليس (الشحنة) يستقصى خبره وخبره ومجلس البرلمان يعارض في طبعه والقيديون ينهون الأمة عن الاطلاع عليه حتى انه كان تارة محرما وتارة محلا وطورا مسموحا به وآونة منهياعنه

وقد أوضح العلامة دالمبرت في مقدمة هذا الكتاب الفرق بين التاموس (المعجم) وكتاب الموسوعات فقال ان المعاجم سواء كانت عمومية أو خصوصية انما غايتها التعريف بعدد عظيم من المواد العلمية بلحظ كثير من القراء الذين هم كل يوم في ازدياد ونماء

واما موسوعات العلوم فغايتها أسمى وأسمى لأنها تتكامل ببيان العلاقة بين هذه المواد العلمية المتنوعة وتمزج المعلومات البشرية المختلفة مع بعضها بجامعة المشابهة والمناسبة الطبيعية ثم تحصرها وتخصها وتقسّمها الى أقسام من حيث الجنس والتنوع

والفصل حتى تكون شاملة لما يخطر بالبال ويدخل في جيز
الاعمال في كل حال
ومما ينبغي للمؤلف في الموسوعات مراعاته ان يقابل بين هذه
الافكار وهذه الاعمال فتولد عنده مسألة ترتيب الامور
الخصوصية والامور العمومية المعروفة بالنواميس الطبيعية وهي
التي يعبرون عنها بمسألة تقاسيم العلوم (١)
وليس من غرضي ان أتعرض هنا لشرح هذه المسألة فانها
تستغرق فصلا طويلا فضلا عن كونها تخرج عن موضوع
هذه المجالة وللعلماء فيها أقوال مختلفة المبني متفقة المعنى وفوق
كل ذي علم عليهم

فصل

في الموسوعات العامة

أستعين بالعلماء العلامة وجهابذة العلماء الاعلام فأميط اللثام

(١) ممن كتب فيها عندنا الرئيس أبو علي بن سينا في رسالته التي سميت كالم عليها
وكذلك الفيلسوف أبو يزيد أحمد بن ريد الفجائي فإن له كتابا اسمه أقسام العلوم قال في
حقه أبو يري عيسى بن علي بن عيسى كافي مقاسات ابي حيان التوحيدى ما نصه
(انك لو تتبعت مراتبه اى هذا الكتاب فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع
أو بالصورة وعلما دون علم بالعائدة والثمره) ومن ألف فيها عند الافرنج المبرت
وأبيرو وأغوست كونت وهر برت سينسر الفيلسوف العصري وغيرهم

في هذا المقام عن المؤلفات التي وضعها فضلاء الاسلام
في موسوعات العلوم (اعني الانسكلوبيديات العربية) وتحروا
فيها ترتيب المعارف على نمط نظامي موافق للارتباط المنطقي بين
المواضيع فأول من عني بذلك أبو نصر الفارابي في كتابه المسمى
احصاء العلوم وترتيبها وهو كتاب جليل للغاية قال فيه ابن صاعد
القرطبي في طبقات الاطباء « وله (اي الفارابي) كتاب شريف في
احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد
مذهبه فيه ولا تستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به (١) »
اقول ولا يوجد من هذا الكتاب على ما أعلم سوى نسخة واحدة
بخط اليد في كتبخانة قصر الاسكوريال بمدينة مدريد عاصمة
بلاد اسبانيا ولا بد أنها من بقايا عرب الاندلس هذا ولم يذكره
صاحب كشف الظنون واعل السبب في ذلك ندرته فانه أعز
من الكبريت الاحمر ولكنه ذكر كتابا سماه (آراء المدينة الفاضلة)
وقال انه لابي نصر محمد الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ ذكره في
موضوعات العلوم اه اقول اني تحققت الاسم الذي نصت
عليه في ضمن أسماء كتب الفارابي المذكور في آخر ترجمته
في كتاب طبقات الاطباء وغيره توفي الفارابي في سنة ٣٣٩
هجرية وبعد ذلك ظهر كتاب وصف العلوم وأنواعها في ثلاثين

(١) وهذا الكلام منقول بالحرف في تراجم الحكماء وفي مفتاح السعادة

وعيون الالباء وغيرها

جزاً لابي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤
ولهذا الرجل مؤلفات كثيرة ولكنها لم تشتهر كما قال ياقوت ثم
ظهرت رسائل اخوان الصفا وسنتكلم عليها فيما بعد ونستطرد
الكلام الى ذكر الحكيم الجريطي بنتح الميم

ثم ظهر ابن سينا وهو على ما في دائرة المعارف اول عربي حاول
ربط العلوم ربطاً انسكلوبيدياً وقد وضع كتاباً في ذلك بحث فيه
عن ماعية العلوم وطريقة التعليم وقد شهد له بالبراعة في ذلك
واجزن مديحه المولى طاشكبيرى زاده الذى هو اعظم مؤلف
انسكلوبيدى شرقى لم يعترف لاحد من تقدمه بالنضل عليه اقول
ولا بد ان تكون تلك الرسالة هى مقالة الشيخ الرئيس في تقاسيم
الحكمة والعلوم فقد نوه بها صاحب مفتاح السعادة في مقدمة
كتابه وأورد منها شيئاً كثيراً قال وهذه الرسالة التى نحن بصدد
تنقيحها وتهذيبها عظيمة النفع فى هذا الباب والله أعلم بالصواب
ثم ان ابن سينا فضلاً عن ذلك ألف كتاباً حاوياً ذكره بقوله (فصنفت
كتاب المجموع وأثبت فيه على سائر العلوم سوى الرياضى)
وهذا الكتاب يعرف بالحكمة العروضية لكونه صنفته اجابة
لالتماس أحد جيرانه المدعو أبا الحسين العروضى

وقال فى الموسوعات الكبرى (الانسكلوبيديا الكبيرة) الجارى
طبعها ونشرها باللغة الفرنسية الفرنسية ان ابن سينا ألف موسوعات
واسعة فى العلوم الفلسفية سماها الشفاء واختصرها فى كتاب

النجاة وقد طبع هذا الكتاب الاخير في سنة ١٥٩٣ بمدينة رومية في آخر القانون قال وان النسخة العربية الاصلية من كتاب النجاة تحتوى على المنطق والطبيعي وما وراء الطبيعة ولا يوجد فيها الرياضى مع أنه نبه في المقدمة على أن محله بين الطبيعى وما وراء الطبيعة

وقد اطلعت على هذه النسخة بكتبخانة مطبعة بولاق فرأيتها جميلة الطبع حسنة الصنع وقد قال في أول كتاب النجاة انه (يشتمل على ما لا بد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز عن العامة وينحاز الى الخاصة ويكون له بالاصول الحكيمية احاطة) اه وما تقدم يظهر أن القرن الرابع للهجرة كان مظهر الموسوعات (الانسكاو بيديات) العربية وقد قلت ذلك أيضا بالنسبة الى ابن سينا وان كانت وفاته في سنة ٤٢٨ ء لانه ألف المجموع وعمره احدى وعشرون سنة أى ان كتابه ظهر قبل القرن الخامس باربع سنين أو تسع اما الاول فعلى كون ولادته في سنة ٣٧٥ كما صرح به صاحب عيون الانباء في طبقات الاطباء وأما الثانى فعلى انه ولد في سنة ٣٧٠ كما نص عليه ابن خلدان وكثير من المحققين

ولابى المظفر الأيووردى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٠٧ المترجم فى ابن خلدان كتاب ينسدرج فى هذا الموضوع وهو كتاب طبقات العلوم كما فى كشف الظنون أو طبقات كل فن كما

في دائرة المعارف التي جعلت وفاة صاحبه في سنة ٥٥٧
ثم ظهر كتاب الفنون لابي الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي
المتوفى سنة ٥١٣ جمع فيه أنواع العلوم في أربعمئة وسبعين
مجلد (٤٧٠) ونقل عن ابن الجوزي ان هذا الكتاب مائتا
مجلد قال ووقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدا ولم يصنف
في الدنيا اكبر من هذا الكتاب وقيل هو أربعمئة مجلد وقال
بعضهم ٤٧٠ وبعضهم ثمانمئة (٨٠٠) اه اقول ولاين
الجوزي هذا كتاب اسمه انجتهبي في أنواع من العلوم
وبعد ذلك قام الامام نضر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة
٦٠٦ وصنف كتاب حقائق الانوار في حقائق الاسرار أورد
فيه موضوعات ستين علما ألنه للسلطان علاء الدين تكش
الخوارزمي وهذا الكتاب يعتبر من أقدم الموسوعات العربية
المعتبرة

وله كتاب منبى هذا وهو (جامع العلوم) قال صاحب
كشف الظنون انه فارسي للامام نضر الدين بن عمر الرازي
المتوفى سنة ٦٠٦ وهو مجلد متوسط يشتمل على أربعين علما
أوله الحمد لله الذي أنشأنا بتصرفه الخ ألفه للسلطان علاء
الدين تكش الخوارزمي وهو كتاب مفيد جدا
ولازمخشري المتوفى سنة ٨٣٦ كتاب اسمه الامالى من كل فن
وظهر بعد ذلك كتاب ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد للشيخ

شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى الاكفانى السنجارى المتوفى سنة ٧٩٤ وهو مختصر أوله الحمد لله الذى خلق الانسان وفضله الخ ذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها وهو مأخذ مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده وجملة ما فيه ستون علما منها عشرة أصلية سبعة نظرية وهى المنطق والالهى والطبيعى والرياضى بأقسامها وثلاثة عملية وهى السياسة والاخلاق وتدبير المنزل وذكرفى جملة العلوم أربعمئة تصنيف

ولما كان غصن الاندلس رطيبا وروض المعارف بها خصيبا وتور النشون طالعا وثمر العلوم يانما كان النضلاء يجتمعون فى مدنها الكبيرة ويتوافدون عليها من أقاصى المعمورة كما يفعله الآن أهل أوروبا من عقد المؤتمرات فى العلوم المشرقية بجومها وفى الطلب والتخطيط (الجغرافيا) والكهربائية وغيرها وقد كانوا يؤثرون الكتب العظيمة حتى ضاهى الاندلس وحده بلاد المشرق كلها وناعيت بالكتابين الخاقين المعروفين بـ (المشرق بجلى اهل المشرق والمغرب بجلى اهل المغرب) واليسك ما قاله صاحب الكشف عن الاول : المشرق فى محاسن اهل المشرق وهو ستون مجلدا لاجد بن على بن سعيد القيسى (١) ذكره على

(١) هو القيسى كما فى النسخة المطبوعة ببولاق وصوابه العيسى كما وجدته بالنسخة المطبوعة باوروبا وبنسخة مكتوية بخط اليدويثو يدلك ان نسخة بولاق ورد فيها هذا الاسم هكذا (العيسى) فى ترجمة المغرب كما استراه وهو تحريف ظاهر

القارئ في طبقاته قال أبو الحسن علي بن سعيد في المرقص ان
المشرق والمغرب كتابان في مائة وخمسين سفرا صنفتها جماعة
من العلماء في مائة وخمس عشرة سنة من أهل الاعتناء بالادب
خاتمتهم مصنف هذا الكتاب وهو ابن سعيد وذكر فيه انه
اخذه منهما وجعله كالمقدمة والمدخل اليهما اه . ثم تكلم
عن الثاني فقال المغرب في محاسن حلى اهل المغرب في نحو
خسة عشر مجلدا لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي
الاندلسي المتوفى سنة ٦٧٣ اله لمحبي الدين محمد بن محمد
الصاحب بن بنى الجزري وذكر في مرقصه ان المغرب والمشرق
كتابان (ثم أورد العبارة السابقة) قال صاحب الكشف وذكر
علي القارئ في طبقاته انه لاجد بن سعيد العبسي وانه ستون
مجلدا وهو وهم

وقد نوه صاحب نفع الطيب بهذا الكتاب كثيرا حيث قال
وكتاب أبي محمد عبد الله بن ابراهيم الجباري المسمى بالمسهب
في فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت
الاندلس الى عصره خرج فيه عن مقصد الكتابين (اي
ذخيرة ابن يسام وقلائد العتيان) الى ذكر البلاد وخواصها
مما يختص بعلم الجغرافيا وخلط التاريخ وتفنن الادب على
ما عومد كور في غير هذا المكان ولم يصنف في الاندلس
مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعد وذيل

عليه ثم ذيل على ذلك ابنه احمد ومحمد ثم موسى بن ابن محمد ثم على بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب فلك الادب المحيط بجلى لسان العرب المحتوى على كتابي المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب فيمكنى الاندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة اشخاص في ١١٥ سنة آخرها ٦٤٥ وقد احتوى على جميع ما يذا كربه ويحاضر بجلاء من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة في شرق وغرب على النوع الذى هو مذكور في غير هذا الموضع اه

وقد عثرت فى المكتبة الخديوية العاصمة على جزء من هذا الكتاب بخط مغربي واليك صورة الديباجة التى على طرته (السنن الخامس عشر من كتاب المغرب فى حلى المغرب الذى صنّفه بالموارثه فى مائة وخمس عشرة سنة فى الاندلس (١) أبو عمر الجمارى (٢) عبد الملك بن سعيد (٣) أحمد (٤) محمد ابنا عبد الملك (٥) موسى بن محمد (٦) على بن موسى (المعروف بابن سعيد) وفى هذا السطر من أول الكتاب الثانى من الكتب التى يستعمل عليها كتاب ما يذ كره تدمير ينتهى الى آخر الكتاب وهذا المجلد بخط مكمل تصنيفه على بن سعيد كتبه فى مدينة حلب المحروسة للخرزانه صاحبة الكفاية بتاريخ سنة ٦٤٧ وتوفى على بن سعيد قيل بدمشق سنة ٦٧٣ وقيل بتونس فى حدود سنة ٦٨٥

وعلى ذكر ابن سعيد ذلك الرحلة الطرفة المشهورند كره
كتابا يندرج في هذا الموضوع واسمه الرزمة يشتمل على وقر
بغير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من النوائد الادبية
والاخبار الا الله تعالى

وقد ألف الشيخ عبدالرحمن بن محمد البسطامي المتوفى سنة ٨٤٥
للهجرة كتابا في موسوعات العلوم قال صاحب كشف الظنون
انه ذكر في فواتحه طرفا من العلوم واورد فيه غرائب وعجائب
لم تسمعها آذان الزمان حتى بلغت مقدار مائة علم و ذكر فيها
أقسام العلوم الشرعية والعربية

أقول اني رأيت هذا الكلام بنفسه ونصه في كتاب الشقائق
النعمانية في علماء الدولة العثمانية عند ترجمة المولى لطف الله
الآتي ذكره الان حاجي خليفة اوردته مخلوطا في كشف
الظنون وجاراه في ذلك صاحب ابيجد العلوم

واعلم أن صاحب كشف الظنون قد ذكر هذا الكتاب
أيضا في موضع آخر في حرف الفاء وذكر عنوانه حيث قال
(النوائح المسكية في النوائح المكية) للشيخ عبدالرحمن بن
محمد البسطامي الحنفي . واليك ما نقله عنه الكشاف مما أثبت
عندي أن مسمى الكتابين واحد

قال : لما حبانى الله تعالى به هذه المعانى الكونية التى طفت
فى تحصيلها البلاد ورفضت لذة الرقاد التى الله تعالى فى خطيرتى

ان أعرف الجناب بفنون من المعارف الربانية اذ كان الاغلب
مما أودعت بطون أوراقها عند حلولي بمكة المكرمة ووقوفي
بعرفات كماله وطواني بكعبة جماله وجعات شرح معارف علومها
من ذخائر خزائن شمس المعارف ونسجت مبانى ديباجة أبوابها
من معادن مخازن الفتوحات المكية في معرفة الاسرار المالكية
والمملكية من الفنون التي قيدت معانيها من رياض العلماء من
سنة ٧٩٥ الى سنة ٨٤٤ التي نحن فيها وقد رتبها على مائة
باب في كذا وكذا وانتهى الى ثلاثين ولم يكملها

ولما جاء المولى لطف الله بن حسن التوفاني المقتول في سنة
٩٠٠ ألف كتابا مختصرا في موضوعات العلوم برسم السلطان
بايزيد خان ثم شرحه وسماه المطالب الالهية . هذا ولم أذكر على
اسم المتن لا في كشف الظنون ولا في الشقائق النعمانية فان
العلامة طاشكبرى زاده لم يذكر في هذا الاخير سوى ما قلته قبيل
هذا وقد نقله الكشف وتبعه الايجد بالكيفية التي نهت عليها

ثم صنف العلامة جلال الدين لداواني المتوفى سنة ٩٢٠م نموذج (١)
العلوم وأورد فيه عشرة من العلوم واهداه الى السلطان

(١) نهى حاشية الصحيفة الخامسة على ان الامودج لحن كتابي لقاموس ولكن
العلماء مختلفون في ذلك وأنت تعلم ان الرنخسرى وهو من ائمة اللغة الذين يرجع اليهم
قد اختصره ففصله في رسالة سماها الامودج ولا يخفى أيضا ان الدواني من جهالة
الرجال الذين يؤخذ بقولهم والله أعلم

محمود وهو كتاب لطيف في بابيه ويحتوى على مسائل من كل علم
وفي أيام السلطان محمد الفاتح راجت سوق المعارف وسطعت
شموس الآداب لانه كان يعضداهلها ويشد ازهرهم فظهرت
عدة موسوعات كبيرة منها مؤلف معتبر للامام جلال الدين
السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ سماه النقاية وضمنه اربعة عشر
علما ثم شرحه وسماه اتمام الدراية لقراء النقاية ثم نظمه شهاب
الدين عبد الحق السنباطى المصرى المتوفى سنة ٩٩٠ فى الف
وخمسة مائة بيت تقريبا وزاد عليه اربعة علوم هى الحساب
والعروض والقوافى والمنطق

ثم ظهر السفر البديع العجيب المسمى بفتح السعادة ومصباح
السيادة من تأليف المولى عصام الدين أبى الخير أحمد بن مصطفى
المشهور بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٧ قال صاحب الكشف
انه ذكر فيه انواع العلوم وضروبها ووضوعاتها وما اشتهر من
المصنفات فى كل فن مع نبذ من نواريخ مصنفها فجاء كتابا عزيزا
غزير الفائدة يحتوى على خمسة مائة علم (١) وجعله على طرفين

(١) هكذا فى كشف الظنون فى بعض المواضع والعهد عليه ونقله كذلك
صاحب أمجد العلوم وفى بعض المواضع يقول صاحب الكشف انها ١٥٠ وهذا
مطابق للقول الصحيح الذى نص عليه المولى طاشكبرى فى الكتاب من (ان العلوم
مع كثرة فنونها وتعدد شجونها منحصرة فى اربعة أنواع وذلك لان الاشياء وجودا فى
أربع مراتب فى الاعيان وفى الادمان وفى العبارة وفى الكتابة وقد استقرت أنواع
العلوم وتتبعت اقسامها فوجدتها ١٥٠ وعلى سائر يد عليها شيئا ان شاء الله) اهـ

الاول في خلاصة العلم وذ كرفيه ثمانية عشر وصية للطالبين
والثاني في تعداد العلوم وضمنه ثلاثة اقسام الهية واعتقادية
(كذا) وعملية وجعل علم الاخلاق ثمرة كل العلوم

وقال في دائرة المعارف انه يقسم العلوم الى سبعة اقسام
وهي البيان والفصاحة والمنطق والفلسفة النظرية والتلسفة
العملية والعلم الايجابي النظري والعلم الايجابي العملي
وقد نقله الى التركية ابنه المولى كمال الدين محمد (المترجم في
خلاصة الاثر) ببعض الحافات وتصرف قال في دائرة المعارف
انه اوصله الى خمسمائة علم كما قال ذلك ايضا صاحب الكشف
في بعض المواضع

وفي عصر السلطان أحمد العثماني الف له المولى محمد أمين بن
صدر الدين الشرواني كتابا جمع فيه ثلاثة وخمسين علما من
أنواع العلوم العقلية والنقلية وسماه النوائد الخاقانية
الاحمدخانية وقد رتبها على مقدمة وميمنة وميسرة وساقه وقلب
على نحو ترتيب جيش السلطان فالقدمة في ماهية العلم وتقسيمه
والقلب في العلوم الشرعية والميمنة في العلوم الادبية والميسرة
في العلوم العقلية وقد أورد منها ثلاثين علما والساقه في علم
آداب الملوك وانما اقتصر على ذلك العدد ليكون موافقا لعدد
احمد على حساب ابجد

ولحافظ الدين محمد العجمي المتوفى سنة ١٠٥٥ المترجم في خلاصة
الاثركتاب اسمه فهرست العلوم يرجع اليه صاحب ككشف
الظنون في كثير من المواضع بما يدل على انه موضوع في
موضوعات العلوم

وفي هذا المقام نذكر شيئاً عن كتاب كشف الظنون الذي كان عليه
بعض اعتمادى في هذا البحث فانه من أفضل الكتب وأكملها
وليس على الاديب الا ان يتلب الطوف في صنعاته فيرى
كيف تتدفق جداول المعارف وتنفض انهار العلوم ويعلم
مقدار العناية التي بذلها صاحبه المحقق في تصنيفه ويشكره
على هذه الخدمة الجليلة التي وفي بها حقوق العربية وأهلها
أما ترجمة الرجل فلم أعثر عليها في كتاب مع كثرة البحث
والمراجعة وسائلة الادباء والعلماء ونغاية ما علمته انه كان معيذا
باحدى خزائن الكتب الكبيرة في دار السعادة العمليّة
(القُطُنطينية) وانه كان على جانب عظيم من العلم فتمكن
بهاتين الصفتين من جمع هذا الكتاب الذي رفع قدره وخلد بين
العلماء ذكره وقد رأيت جماعة اليسوعيين يكتبون اسمه في مجالي
الادب وغيره من كتبهم بهذا الرسم (حجى خاننا) وأما دائرة
المعارف فرقمته بهذه الكيفية (حجى خليفة) وسماه صاحب كتاب
ابجد العلوم هكذا (خواجة خليفة زاده ملا كاتب الجلبى) وأما

نسخة كشف الظنون المطبوعة في بولاق فعلية اسمها هكذا
(ملا كاتب حاجي) وأما هو فقد قال في الكشف عند ذكر كتابه
الذي سماه (تقويم التواريخ) مانصه « بخامع هذا الكتاب
مصطفى بن عبد الله الفسطاطيني مولدا ومنشأ الشهير
بحاجي خليفة » ولا غرو فان تعدد الاسماء يشعر بشرف
المسمى

وقد رتب كتابه على حروف المعجم بعد ان صدره بمقدمات
مفيدة للدرجة التصوي شرح فيها أحوال العلم وتعريفه
وتقسيمه ومنشأه والكتب ونزولها وعلم أهل الاسلام
والمؤلفين والمؤلفات وفوائدها وأتى في شرح هذه الابواب
بالنصول الرائقة والبيانات الفائقة والاعلامات المدققة
والافصاحات المحققة والاشارات الجليلة والمناظر الجليلة
والشروعات الجزيلة والحققه بسرائر الفوائد وروائع البدائع بحيث
لم يدع لاولى الآداب مجالاً للدخول بعده من هذا الباب فانه
أفصح وأوضح ووفى بالمراد حتى كان كلامه في هذا الموضوع
غاية ما يمكن ان يصل اليه الناس ولذلك ترجم الالمانيون
هذه المقدمات وادرجوها باحدى موسوعاتهم المعتبرة
وانت عليم بان لهم اليد الطولى والقدم الراسخ في ميدان
المعارف

وقد رتبته على الحروف المعجمة مثل أساس البلاغة والمصباح
وذكر الكتب بمناسبة أوائلها مع ذكر مصنفيها ووقياتهم
في الغالب وكشف عن أمر هذه المواقف من حيث عناية
العلماء بها بآي وجوه من الوجوه وخصوصا الكتب الكبيرة
الشهيرة التي عم نفعها فانه عرفها تعريفنا وافيا بالمقصود على
انه قد قصر في الكلام على بعض الكتب الغريبة العزيرة
ولعل هذا جاء من عدم وقوعها له لتسدرتها وقد ذكر
الكتب التي لا اسم لها باعتبار الاضافة في حرف التاء (تاريخ)
والدال (ديوان) والراء (رسالة) والكاف (كتاب) والقاف
(قصيدة) والشين (شرح أسماء الله الحسنى) وغير ذلك ونس
على الكتب الفارسية أو التركيبية أو المترجمة لزيادة التعريف
وكمال الفائدة

ثم شرح موضوعات العلوم في أبوابها مثلا الحكمة في باب الحاء
والموسيقى في الميم الخ وقد اهتمدى في ذلك بمشكاة كتاب مفتاح
السعادة على الخصوص فانه تعقبه بالنقد اللطيف في بعض
المواضع وزاد عليه في البعض الآخر ونقل كلامه بالحرف في
جهات كثيرة وفي خلال ذلك يشرح بعض كلماتهم اللبيب
معرفتها مثل الأمل في باب الالف والمباحث التي وقعت
بين كبار العلماء فانه يتكلم عليها في باب (بحث) وكتورة
في باب التاء وكتورة البردة وغيرها في باب القاف وكتورة

الجزر الاصم في باب الميم (١) وكسئلة وحدة الوجود التي
يذكرها في باب الواو وغير ذلك من الشوائد التي تدل على
فضله العظيم

وقد طُبِعَ الكتاب في مدينة لوندرة عاصمة الانكليز طبعاً أيقناً
فاتقاً في العناية والتصحيح وقد ترجمه كله الى اللغة اللاتينية
العلامة جوستافوس فلوروجل وعدد أسماء الكتب والعلوم
التي شرحها حاجي خليفة فكانت ١٤٥٠١ مادة وفي آخره
ذيل له ألفه المولى حنيف زاده محمد طاهر وبلغت الكتب
التي أضافها خمسمائة كتاب وستة كتب وعندى انه لم ينهج مثل
حاجي خليفة في توفية الشرح والبيان بل هو مثل صاحب
وفاة الوفيات الذي ذيل ابن خلدان

وفي آخر هذه الطبعة جدولان مفيدان جدا أحدهما يشتمل
على الكتب المتداولة في بلاد المغرب من تفسير وقرآآت
وحدیث وفقه ونحو وتوحيد وقضاء وحساب وميراث ووثائق

(١) يذكر هذه المسألة لقلاعه لما فيها من التصليل العريب فال . وهي فيما قيل
ان اجتماع المقيضين واقع لانه لو قال قائل كل كلامي في هذه الساعة كذب ولم
يتكلم في هذه الساعة بغير هذا الكلام أصادق موأم كاذب وقد ذكرها التفاتراني
في شرح المقاصد وقال هذه مغلطة تحير في حلها عقول العلماء واهذا اسميتها مغلطة
الجزر الاصم الخ اه

وطب ورسائل وتنجيم واسطرلاب (١) وأصول وبيان وخطب
وتاريخ وأدب وعروض وتصوف ومنطق وفتوى ولغة وفنون
متنوعة وقد بلغ عددها كلها ٤٤٣ كتابا
والجدول الثاني يشتمل على مؤلفات السيوطي في جميع أنواع
العلوم وقد بلغت ٥٠٤ وبعد ذلك جداول كثيرة عن بيان
الكتب المخطوطة بالأزهر والمدارس القديمة بديار مصر وغير
ذلك مما يهم الاطلاع عليه بحيث ان هذه النسخة المطبوعة
بالعربية واللاتينية في مدينة لوندرة من سنة ١٨٢٥ الى سنة

(١) هو بالسين على ما ضبطه أهل الوقوف وقد بدل السين صادًا لمخاويرها
للسا وهو أكثر وأشهر وهو من مروج علم العلكة وليس من شأنا أن يتعرض لبيان
موضوعه في هذا التمام والكثير من الواجد كرتي عمارة له القوم في صدد
تعريب اللفظ فلو انه كلمة يونانية معناه امير الشمس وقيل مرآة النجم ومتباينه
وقيل انه كان لادريس عليه السلام ابن يسمى لاد وله معرفة بالهيئة فاستطاع
الكرة واتخذ هذه الآلة فوصلت الى أبيه فصار من سطر هذا فقيل سطر لاد موقع
عليه هذا الاسم وقيل سطر جمع سطر ولا اسم رجل وقيل فارسي معرب من
استار ياب أي مدرك أحوال الكواكب قال بعضهم هذا أظهور وأقرب
للصواب لانه ليس بينهما فرق لاتغير الحروف اه والقول الذي ينبغي ان
يعمله نعا هو الأول أو الثاني فانه يوافق ما ذهب اليه الافرنج في بيان أصل كلمة
Astrolabe فقد قال جماعة انها مركبة من أسترون (كوكب أو نجم) ومن
لافي (الرب أو الفرع) وقال آخرون انها مركبة من أسترون (وقد عرفت معناها)
ومن لامبون (ومعناها أتناول) والمقصود أتناول الكوكب وهذا يوافق ما حققه
العلامة عاصم أفندي في الأوقيانوس مع مادة يساعوجي حيث صرح بان
أسطرلاب بفتح الهمزة وان اسطر كلمة يونانية معناه النجم وان لاد يونانية أيضا
معناها الأخذ فعبارة التركيبي أخذ النجم راديه أخذ أحكام النجم

١٨٤٣ ميلادية تفوق النسخة المطبوعة في بولاق سنة ١٢٧٤ هجرية بكثير جدا

وعندي انه نسج في تأليفه هذا على منوال ابي الفرج محمد ابن اسحق الوراق المعروف يعقوب النديم البغدادي الذي صنف كتاب فوز العلوم وقد يسميه بعضهم فهرست (١) العلوم لانه قال فيه هذا فهرست العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجودة منها بلغة العرب وقلها

وقد رأيت في ابن خلكان شيئا عن هذا الكتاب عند ذكر ترجمة أبي الوفاء البوزجاني الحاسب المشهور وأحببت ايراده هنا للناثدة قال وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة (أي سنة ٣٢٨) في كتاب النهيرست تأليف أبي الفرج ابن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت تاريخ الولادة فأخليت بيضا لاجل تاريخ الوفاة لعل أظفر به فان قصدى في هذا التاريخ انما هو ذكر الوفاة كما ذكرته في أول الكتاب ثم اتى وجدت تاريخ الوفاة في تاريخ شيخنا ابن الاثير وقد ذكرها في هذه السنة المذكورة (أي سنة ٣٧٦) فالحقتها وكان بين شروعي في هذا التاريخ وظننرى بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم

(١) تنبيه الفهرست كلمة فارسية معربة قال في القاموس انها تدل على الكتاب الجامع للكتب وهي عبارة مبهمه ولم يتعرض صاحب تاج العروس لشرحها فنهل

وللازنيقي كتاب اسمه مدينة العلوم اعتمد عليه صاحب
أبيجد العلوم اعتمادا كبيرا في أغلب مواضعه وآبوابه وأورد
من مقدمته طرفا خيات لي انه هو ومصباح السعادة شيء
واحد أو ان أحدهما نقل عن الآخر من غير ان ينسب اليه
ولقد ازداد عجبى لما خاطبني هذا الخاطر خصوصا عند
ما رأيت صاحب الأبيجد يسرد فهرس كتاب مدينة العلوم
وكيفية ربطه للعلوم مع بعضها فأنها اشبهت عندي تمام

المقصود انه كتاب جمع أسماء الكتب وتكفل بيان مشتملاتها ووصفها وحينئذ
يدخل تحته كتاب كشف الظنون وأسئله ويكون مقابله في الأفرنجية

Dictionnaire ou catalogue bibliographique

أو المراد انه كتاب حوى جملة كتب مثل مجموع المتون المتداول في مصر وجامع
المتون تأليف صاحب كشف الظنون وغيرهما من الكتب التي ذكرها
وحيث يمكن استعماله في ترجمة كلمة أسكلوبيديا *Encyclopédie* التي
اخترت لها كلمة موسوعات العلوم والذي أراه في هذا الشأن وان لم أت من فرسان
هذا الميدان هو ترجيح التخريج الأول مع عدم تجريح الثاني فان كلمة موسوعات
أتم في الدلالة على معنى أسكلوبيديا دلالة بصيرها الدهن الى غير ذلك الاله ليست
مستعملة الآن ومتى تم شيوعها وتحدث بها الناس واستعملها الكتاب والمدشون
صارت دلالتها واضحة ومعناها ظاهرا - وأما كلمة فهرست فان الاستعمال
يصرفها الى كتاب مرتب على حروف الهجاء للكشف عن بعض الاسماء وتداول أيضا
على الجدول الذي يوضع في آخر الكتاب حاويا تراجم ما تضمنه من الفصول والآبواب
وهذا أقول ان العادة عند المؤلفين ان يقسموا تأليفهم الى جملة كتب فيقولون
الكتاب الأول في الطهارة مثلا والكتاب الثاني في كذا وكذا الخ فيقولون
الكتاب هـ بمعنى الباب أو الفصل المستعملين عند المحدثين

المشابهة

المشابهة فهرس مفتاح السعادة اذ كنت توجهت اثناء اشتغالي بجمع هذه الرسالة الى المكتبخانة الخديوية واطلعت عليه قبل اطلاعي على الابدع ثم رأيت صاحب الابدع قد أورد العبارة الآتية على هامش صحيفة ٢٨٩ من كتابه وهي من الغرابة بمكان

(ولم نقف من كتاب مفتاح السعادة الا على مانقله ملا كاتب الجلبى فى كشف الظنون ووقفنا على كتاب مدينة العلوم فوجدناه كأنه هو لاوكس فى العبارة ولا شطط فى الاشارة لكن لم يتعرض لذكره صاحب الكشف كما تعرض لذكر المفتاح مع انه مقدم التأليف فلم يحصل الفرق لما بين هذين الكتابين فى المبنى والمعنى غير انهما متفاوتان اسما ومتحدان مسمى الخ) اه

فلما رأيت ذلك لم أتمالك ان توجهت الى المكتبخانة الخديوية العامرة ثانياً وقابلت بين مقدمة مدينة العلوم وفهرسه على ما فى ابدع العلوم وبين مقدمة مفتاح السعادة وفهرسه فاذا الكتابان لا يكادان يختلفان الا فى بعض الفاظ قليلة وزيادات طفيفة جدا وتقدم وتأخير لا يشعر به الانسان هذا وربما كان كتاب مدينة العلوم مجهولا فانتقله المولى طاشكبرى زاده وغير اسمه فانا لم نسمع به قط ونعابه ما علمته اثناء بحثى فى موضوع هذه الرسالة ان لاجد الفضلاء صديقا عنده

كتاب اسمه مفتاح مدينة العلوم ولم يُعجّل لي الاطلاع عليه
ولكن عالمية طاشكبرى زاده وشهرته وتداول كتبه المقيمة
المتعددة مما لا يختلف فيه اثنان فليت شعري ما هي الحقيقة
في هذا المشكل العظيم وهل سرق الرجل هذا التأليف الجسيم
وغير اسمه ليدلس على العلماء * لا أقدر أن أقول بذلك ولكني اترك
هذا البحث للايام فهي تتكفل ببيان الحقيقة واماطة النقاب
عن هذا الامر العجيب

نرجع لموضوع البحث ونذكر كتاب كشاف اصطلاحات
العلوم للشيخ الفاضل محمد علي بن أعلى التهانوي الهندي
وقد اطاعت عليه فاذا هو في جزئين ضخمين جدا واف
باصطلاحات جميع العلوم كاف للامتعم مؤنة البحث والمراجعة
في كتب كثيرة متنوعة بل هو كالجوهر الزاخر بعرف الاوائل
والاواخر وقد رتبها صاحبه على حروف التهجئة لسهولة البحث
وقسمه الى قسمين الاول في شرح الالفاظ العربية والاخر
في الالفاظ العجمية العربية وجعل له مقدمة مستوفاة في بيان
العلوم المدونة وما يتعلق بها وشرحها شرحا واسعا جدا
بجاء كتابا تفخر به اللغة العربية في هذا المعنى

وأما كتاب أجد العلوم فهو من تأليف الملك الفاضل الجليل
السيد محمد صديق حسن خان بهادر الحسيني البخاري القنوجي
(بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون الواو نسبة

الى قنوج كينتور بلدة بالهند) ملك بهوپال المحيية وهو
ينقسم الى ثلاثة أجزاء الاول الوشى المرقوم فى بيان أحوال
العلوم والثانى السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون
وأصناف العلوم والثالث الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم
وهو كتاب مفيد جدا وتدل أسماء اجزائه على مواضيعه ولا
حاجة بنا الى وصفه والكلام عليه فقد أغنتنا عن مدحه شهرة
مؤلفه النبيل وكتبه التى بلغ عددها ٥٨ كما أوردها فى
كتابه هذا مرتبة على حروف المعجم وكان لكل حرف منها حظ
سوى الزاى والطاء فانه لم يدون كتابه يتدئ اسمه بأحد هذين
الحرفين ونحن نبتهل الى رب البرايا ان يديم حياته الطيبة وأن
يقيه للآداب حصنا حصينا وللعرفان ركامتينا أمينا

ولا يصح أن نسى كتاب كليات أبى البقاء الذى تكفل ببيان
الكليات وشرح فيه المكلمات الواردة فى القرآن ثم فى الحديث
من حيث كونها كايمة عامة فى المعنى ويذكر استثناء بعض
العبارات التى وقعت مخالفة للمعنى الكلى ثم يدخل فى شرح
الالفاظ المصطلح عليها فى جميع الفنون والعلوم بأوفى شرح
وأكمل بيان ويستطرد فى أثناء ذلك الى ذكر بعض المسائل المهمة
التي دار البحث عليها وكانت موضوع الخلاف بين العلماء بحيث
ان كتابه جاء مجيها موسوعيا كاملا فى بابيه من حيث اللغة العربية

أولا ثم فنونها بأجدها ثم العلوم الحكمية والطبيعية وما فوقها *
فبين هذا الكتاب وبين كشف اصطلاحات الفنون السابق
ذكره عموم وخصوص مطلق يجتمعان في كشف الاصطلاحات
ويتفرد هذا بذكرها من حيث كونها كليات

وقد طبع هذا الكتاب في بولاق مرتين وفي القسطنطينية
مرة وقد نفذ الآن وعساه يطبع مرة أخرى مع العناية
بترتيب مواضعه على الحروف الهجائية بمراعاة الاول والثاني
والثالث فان المؤلف رحمه الله أهمل ذلك كثيرا لكونه كان
مشتغلا بالجمع من مواضع متفرقة حتى تكررت معه الاقوال
وتشابهت النقول في غير موضع وهذا الترتيب الذي نشير اليه
لا يخل بالاصل بل تكون فائدته ارشاد الطالب وهداية الباحث
الى سواء السبيل * ومما ينبغي زيادة الالتفات اليه أيضا
الاهتمام بوضع فهرست واسع واضح ليسهل الكشف بواسطته
على ما حواه ذلك الكتاب من الذخائر والنقائس أعنى أن هذا
الفهرست يكون مشتغلا على بيان امهات المسائل ورؤس
الابواب وما انطوى تحتها من المباحث والمطالب حتى تربو
فوائده على المطبوع منه قديما وتزداد مزينة هذا الكتاب
عند أولى الالباب

ويجمل بنا أن نورد هنا شيئا عن كتاب سفينة الراغب ودفيئة
المطالب للعلاء الوزير راغب باشا الذي تولى ولاية مصر من قبل

السلطنة العثمانية السنية قبل العائلة المحمدية العلوية فانه جمع فيه شذورا جمة من المعارف وأتى فيه على كثير من المسائل ذات البال وهو يعد من أحسن المجاميع التي تلذ قراءتها لجميع الناس على اختلاف مشاربهم وتباين أذواقهم ولذلك كثر تداوله وتناوله خصوصا بعد تميم طبعه وتعميم نفعه

ولولانا المرحوم الشيخ عبدالهادى نجا الاياري المترجم في كتاب الخطط التوفيقية الجديدة لصاحب السعادة على مبارك باشا ناظر المعارف العمومية كتاب جليل في هذا الموضوع ألقه برسم الجناب الخديوى السابق وسماه سعود المطالع شرح سعود المطالع وشرح فيه اثنين وأربعين فنا قال انه حواها لفظ اسميل على ما هو مبين فيه وهو في جزأين لطيفين

ثم قام الطيب الذكر المالم بطرس البستاني واجتهد في عمل أول موسوعات عربية عامة على ترتيب حروف المعجم وحذفها حذو المؤلفات الافرنجية التي شاعت في هذه الايام وعادت على المعارف بأجل العوارف وقد اقتبس موادها من الكتب العربية والافرنجية حتى كان في الامل ان تكون من أفضل المؤلفات لولان اخترته المنون بعد ظهور الجزء السادس بينما كان على أهبة طبع السابع ولكن ابنه سليما اقتنى خطته الجيدة ونسج على منواله فأظهر الجزء الثامن وهو ينتهى بلفظ روستحق ولم يلبث هو أيضا ان اختطفته مخالب الموت فقام أخوه بحبيب

البستاني بإتمام هذا العمل الجسيم فطبع الجزء التاسع في جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ولما كان العوائق المتعددة منعت من نشره لحد شعبان سنة ٣٠٧ ولم يصل الا الى لائحة سايك ولذلك يثس الناس من تمام هذا الكتاب النفيس كانه قدر عليه ان يبقى مبتورا أو يلاقى من الموانع ما يحجب نوره دهورا ولكننا لا نقنط من قيام بعض ذوى الغيرة والهمة فيقومونه كما هي العادة عند العلماء شرقا وغربا رغبة في تعيم المعارف ونشيد أركانها وان في القسطنطينية ومصر وبيروت رجالا اشتهر فضاهم اشتهار الشمس في رابعة النهار وألخوا الكتب العديدة المفيدة فلا نعدم منهم من يقوم بهذا المشروع خير قيام بل قد بدت لنا بشارت الفلاح وثمانى فى أفق الرجاء بروق الضجاج فقد بلغنا ان جماعة من الفضلاء النبلاء شرعوا فى تأسيس مجمع علمى عربى (ا كاذميه) وهو جمعية الفنون العربية ونشروا مشروع قانونهم على أهل الادب والفضل للنظر فيه وابداء ملحوظاتهم عليه فيما حسبنا لو اهتموا بهذين العاملين المجيدين وهما تشكيل الجمعية وتكميل الدائرة فيكون لهم بهما حق عظيم على الناطقين بالضاد ويتشر صيتهم فى جميع البلاد ويكونون فى مقدمة العاملين على خير العباد والله يوفق من أراد وعليه الاتكال فى تحقيق الآمال واجابة السؤال

وقد رأيت ان أختتم المقال في هذا المجال بذكر شيء
عن قصيدة خليفة بن تميم في الموسوعات العامة نظمها
أبو الرجا محمد بن أحمد بن الربيع الاسواني الشافعي
المتوفى سنة ٣٣٥ وضمنها أخبار العالم وقصص الأنبياء
ومختصر المزني (١) والطب والحديث والندفة وغير ذلك قيل
انه سئل قبل موته كم بلغت قصيدتك الى الآن فقال ثلاثين
الفا ومائة ألف بيت وبقي على أشياء تحتاج الى زيادة
وحيث انا طرفنا باب النظم فلا بأس من ذكر بعض قصائد
لا تخرج عن موضوع كتابنا هذا لانها تشبه ان تكون
موسوعات فمن ذلك قصيدة في نحو ألف بيت لشمس الدين محمد
ابن حسن بن الصائغ الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٠ وهي في
الصنائع والفنون وكان حقنا ان نذكرها في فصل الموسوعات
الخاصة ولكننا اضطررنا الى ذكرها في هذا المقام لما بيناه
عما يسوغ لنا ان نذكر أيضا (القصيدة الياضية
في أسامي الكتب العلمية) اشرف الدين محمد بن معمر

(١) المزني كشوطي نسبة الى مزينة كجهينة حيث يقال في النسبة اليها جهني
وهو الشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزني الشافعي المتوفى سنة ٤٦٣ أول من
صنف في مذهب الشافعي وكتبه متداول معروف وعليه شراح كثيرون وكلهم
يعترفون بانهم لم يدر كوا من حقائقه غير اليسير ولهذا الكتاب قيمة عظيمة وقد
خطير وقد اختصره من العلماء جم غفير .

القيدي الكاتب المتوفى سنة ٧١٢ ذكره ابن حجر
في كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة وقال
صاحب كشف الظنون وما رأيت من ألف فيه (١) شيئاً
غيره (٢) وقد عرفت حال النظم وضيقه عن الاستيعاب
كما ينبغي

فتأمل يا ربك الله فيما سقته اليك من نبا الكتب العظيم وردد
الطرف في محاسن أولئك القوم ترأثم سبوا من عداهم من
الامم لما جاروهم في ميدان العلم وزاجوهم على منهله العذب
فكانوا السابقين الراجحين وقل لله درهم من أمة غيرت
الايضاع ونورت الافكار ودوت الارض بن عليها كما زاولت

(١) أى في هذا الموضوع وهو بيان أسماء الكتب
(٢) كيف يقول ذلك مع وجود فهرست العلوم الذي تكفل بترجمة كبار
العلماء وبذكري مؤلفاتهم مع بعض الشرح والبيان ونضال عن ذلك فقد ذكره
في كتابه وعلى كل حال فهذا يوافق ما قلناه في فاتحة هذه الرسالة من أن علم الكتب
لم ينل من علمائنا كبير حفاوة وان كانوا قد فتحوا بابيه * وهنا أذكر أيضاً البارون
كريم المتوفى حديثاً في الخطاب الذي افتتح به مؤتمر اللغات الشرقية المنعقد
في مدينة وينا سنة ١٨٨٦ (ان أحد أمراء مصر بين ألف كتاباً باجليل
ضمنه الكلام على جميع الكتب المصنفة بخصوص ديار مصر منذ الاحقاب
الحالية الى الازمان الحالية * وقد هداني البحث فعرفت أن الامير الذي يشير
اليه هو صاحب الدولة البرنس ابراهيم حلمي باشا وكاتبه باللغة الانكليزية وقد
رأيت نسخة منه بالكتابة الخدمية

العلوم ومهدت سبيل الوصول اليها فلسان حالهم ينادينا الان
أن هلموا الى السير على سنن أسلافكم ووجدوا في انزال
المعارف الى ربوعكم لكي تتمتعوا برغد العيش وتقوزا بنعيم
الحياة فقد أشرقت عليكم شمس النجاح في سماء السعادة
وانبعثت فيكم تلكم الروح روح الاقدام على الاعمال
العظام حتى غدوتم وقد قطعتم شوطا بعيدا في ميدان
النقد وحثتم ركاب الطلب لنوال الارب وعليكم أن تستمدوا
من الحكيم العليم أن يعينكم في مشروعكم الجليل ويمديكم
سواء السبيل

فصل

في الموسوعات الخاصة

الغاية التي توخيتها في هذا الفصل هي البحث عن بعض الكتب
التي اشتملت على عدد معين من العلوم وقد جمعت في هذا
الفصل كتباً تتعلق باللغة وعلومها والادب وعلوم متعددة أو
يعلم واحد وبالفسفة ثم الفقه والتفسير ورأيت أن أسردها
على حسب وفيات أصحابها لما في ذلك من السهولة
واقدم كان الفارابي رحمه الله سابقا في حلبة هذا الميدان أيضا
فان له كتابا في أغراض افلاطون وارسطو قال صاحب مفتاح
السعادة انه اطلع فيه على أسرار العلوم وعلمها علما

وبين كيفية التدرج من بعضها الى بعض شيئاً فشيئاً (١) ثم بدأ بفلسفة افلاطون يعرف غرضه منها ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطو ووصف اغراضه في تأليفه المنطقية والطبيعية قال ولا أعلم كتاباً اجدى على طلب الفلسفة منه

واعلم أن علم الفقه لم تخل كتبه من الموسوعات بل هي متداولة مستفوضة في أيدي القوم ولا يرى من حاجة لبيانها في هذا المقام فانه نال من علمائه عناية عظيمة ورعاية كبرى ولكننا نذكر موسوعات حنبلية لعدم شيوع هذا المذهب بين امة الاسلام فلذلك كان هذا الكتاب خاتماً بالذكر وهو (الجامع لعلوم الامام احمد بن حنبل) للشيخ الامام أبي بكر أحمد بن محمد الحلال البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٣١١ وهو كتاب لم يصنف في مذهبه مثله

واذكر الاغانى لابي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦ وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقاً قال أبو محمد المهلبى سألت أبا الفرج في كم جمع هذا فذكر أنه جمعه في تحسين سنة وأنه كتبه في عمره مرة واحدة بخطه وأهداه الى سيف الدولة فاتخذ له ألف دينار ولما سمع صاحب ابن عباد قال لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستحق أضعافها اذا كان مشهوراً بالمحاسن المنتخبة

(١) وهذه هي أيضاً مسألة تقاسيم العلوم التي نبهنا عليها في الصحيفة الثانية عشرة من كتابنا هذا

والفقر الغريبة فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكتاب
والمثادب بضاعة وتجارة وللبطل رجلة وشجاعة وللمضطرب
رياضة وصناعة وللمالك طيب ولذاذة ولقد اشتملت خزائني على
مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميري غيره ولقد
عنت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يقتر
عن اسماع من قرئه بذلك قد اوردته العلماء في كتبهم ففاز
بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه * واقد كان عضد
الدولة لا يفارقه في سفره ولا حضره * واقد بيعت مسودته
بسوق بغداد بأربعة آلاف درهم انتهى

وهالك بعض عبارات منقولة من ذلك الكتاب النفيس تدل على
موضوعه وفوائده قال انه (جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من
الاعاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما قاله منها الى قائل
شعره وناظم لحظه واعتمد في هذا على ما وجد لشاعره
أومغنييه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن
خبرا يستناد وأتى في كل فصل بتفت تشاكلة ولع
تليق به وفقر اذا تأملها قارئها لم يزل منتقلا بها من فائدة الى
مثلا ومتصرفا بها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار
متهلة بايام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة وقصص الملوك
في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تجمل بالمتأدين معرفتها
ويحتاج الأحداث الى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول

عن الاقتباس منها إذ كانت منتحلة من غير الاخبار ومنتقاة
من عيونها وماخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها)
وقد قال السنوخي انه وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في يابه مثله
وذكر ابن خلكان ان ابن عباد كان يستصحب في أسفاره حمل
ثلاثين جلا من كتب الأدب فلما وصل إليه هذا الكتاب لم
يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها
وقد اختار من هذا الكتاب جماعة من العلماء والاهراء واعتنى
به أهل الأدب عناية كبيرة حتى ان بعضهم اختصره ورتبه على
حروف المعجم وقد طبع في بولاق في عشرين جزءاً واختصره في
هذه الايام جماعة اليسوعيين وسموه رنات المئات والمئاني
في روايات الاغانى وقسموه الى جزأين الاول في أخبار المغنين
والشعراء (الروايات الادبية) والثاني في أيام حروب العرب
قبل الجاهلية والاسلام (الروايات التاريخية)
وأما كتاب (الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة)
فهو لابي جعفر المعروف بابن عدى الجرجاني المترجم في دائرة
المعارف المتوفى سنة ٣٦٥ في ستين جزءاً وهو أكمل كتب
الجرح والتعديل وعليه اعتماد الأئمة قال العسكي طابق اسمه
معناه ووافق لقطه بفواه بصحته حكم المحكمون وبما يقول
رضى المتقدمون والمتأخرون وقال جزء السهمي سألت
الدارقطني أن يصنف كتاباً فقال كتابي لا يزيد عليه وقال الحافظ

ابن عسا كر كتاب ابن عدى ثقة على لحن فيه وقال الذهبي
كان لا يعرف العربية مع عجمة فيه وأما في العلل والرجال فحافظ
لا يجارى وعليه ذيل يقال له الحافل في تكمله الكامل
واللام أحمد بن ابان الاندلسي اللغوي المتوفى سنة ٣٨٢
كتاب مهم جدا اسمه العنالم واللغة في مائة مجلد رتبته على
الاجناس فبدأ بالفلك لكونه أعظم الاجسام وختم بالذرة وفي
بعض الكتب ورد اسمه هكذا أحمد بن ابان بن سيد اللغوي
الآخذ عن أبي علي القالي وان كتابه يسمى المعلم بفتح اللام
ولابي العلاء أحمد بن عبيد الله المعري كتاب الايك والغصون
في ألف ومائتي كراسة في فنون الأدب وهو المعروف بالهمز
والرديف قال ابن خلكان انه يرادف المائة جزء قال وحكى لي
من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والرديف
وقال لأعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد وهذا لا يستغرب من
أبي العلاء صاحب التكر الثاقب والمدارك السامية ورب المعاني
الذائقة والآراء المشهورة والاشعار الرائقة والحكم الماثورة
توفي أبو العلاء في سنة ٤٤٩

ومن الذين يندرجون في سلك هذا النظام العلامة أبو عبد الله
محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الأزدي البغدادي
الزاغولي الشافعي النقيب الحافظ نسبة الى زاغول من قرى
بنج ديه بمرو الروزمن خراسان تفقه على السمعاني الكبير

والموفق ابن عبد الكريم الهروي والحسين بن مسعود البغوي
القراء وأبي عبد الله عيسى بن شعيب بن اسحق السجزي
وعنه أبو سعيد السمعاني وترجمه في اللباب وقال كان ثقة توفي
سنه ٥٥٩ فقد ألف كتاب قيد الاوابد في اربعمائة مجلد يشتمل
على التفسير والحديث والفقهاء واللغة وقال صاحب كشف
الظنون انه مات عن تسع وسبعين سنة وان كتابه مجموعة جمع
فيها العلوم ورتبها واعلمها بلغت اربعمائة مجلد وقال في نسبه
انه الزاغوكي بالكاف وهو تحريف واضح وصوابه ان يكون
باللام فان صاحب القاموس والتاج أوردها في باب اللام فصل
الزاي في ترجمة مادة زغ ل فلم يبق شبهة في أن الزاغوكي
تحريف وقد رأيت هذا الاسم على صحته أي باللام في نسخة
من كشف الظنون بخط اليد

ومن الموسوعات التي يجدر التنبيه عليها كتاب (مجمع الامثال)
فقد أفرده لذلك مؤلفه أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري
المعروف بالميداني المتوفى سنة ٥١٨ وقصره على ايراد الامثال
وشرحها على أحسن حال قالوا انه يحتوي على ثمان وستة
آلاف مثل وقال (ان الامثال في القرآن كثيرة وأما الكلام
النسبي فقد صنف العسكري فيه كتابا برأسه وأنا أقتصر ههنا
على حديث صحيح وقع لنا غالباً) ثم ذكر ان الشيخ العميد الاجل
السيد ضياء الدولة صفي الملوک أبي علي محمد بن أرسلان حله

على جعله مشتقاً على غنمها وسميتها محتوباً على جاهليها واسلاميتها
فطالع لاجل ذلك أكثر من خمسين كتاباً هي العمدة في هذا الباب
وطرح الامثال المشروحة وخرافات الاعراب ثم رتبها على حروف
المعجم في أوائلها وذكر في كل مثل من اللغة والاعراب ما يفتح
المغلق ومن القصص والاسباب ما يوضح الغرض وجعل له رموزاً
تدل على ما أخذه ثم أورد الامثال التي أهملها المتهتمون
وذكر التي استعملها المولدون وختم الكتاب بباب عقده
في أسماء أيام العرب وآخر في نبذ من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم والخلفاء الراشدين وهو كتاب حسن جداً طبع مطبوعة
بولاق في جزأين ونفسد الآن تماماً وفي ترتيب أبوابه تساهل
اذلم يراع فيه أول الحكمة وثانيها وثالثها بل أتت الامثال
المبتدئة بحرف واحد في باب واحد من غير تمييز بين ما يجب
نقديه وما يلزم تأخيره وفي ذلك من الصعوبة على الباحث
مالا يخفى فعسى أن يتج الله لفريق الدب من يأخذ على نفسه
اعادة طبعه ويزيل هذا الظلم فيكون حقيقاً بالثناء

ومما يدل على عظيم قدر هذا الكتاب ان الزمخشري وهو
معاصر للميداني كان ألف كتاباً سماه المستقصى في الامثال
وبعد ذلك وقع له مجمع الامثال هذا فأطال نظره فيه وأعجبه
جداً ويقال انه ندم على تأليفه المستقصى لكونه دون مجمع

الامثال في حسن التأليف والوضع وبسط العبارة وكثرة
الفوائد

قال السيوطي في طبقات النحاة ان الزمخشري وقف على كتاب
مجمع الامثال للميداني فحسده عليه فزاد في لفظة الميداني نونا
قبل الميم فصار الميداني ومعناه بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً
فعمد الميداني الى بعض كتب الزمخشري فجعل الميم نونا فصار
الزمخشري ومعناه بأفع زوجته اه وفي كشف الظنون بعد ان
نقل ما قاله السيوطي* (قال المولى الحناتي كأنه ظن ان شري
تورية من الشري ولا يخفى ان الخاء المهجمة حينئذ تبقى بلا معنى
ولا وجه والظاهر ان التنكيث من زن خشري وخشري في
استعمال العجم بمعنى المرأة غير الجيدة لان خشري يستعملونه بمعنى
الطائفة المجتعة من الاوباش فالمرأة المنسوبة اليهم غير
صالحة)

(وندلك هنا على كتاب مجمل الاسماء) لظاهر بن محمد بن يوسف
الغزنوي فرغ من تأليفه بدمشق في آخر سنة ٥٦١ وهو
مصنف في فنون مختلفة مشتملا على عشرة كتب الاول في
خلق الانسان وذكر أحواله الى كبره وأوصافه الثاني في
معرفة السماء وعلم ما يتعلق بالهواء وما فيها من المنازل والرياح
وغير ذلك الثالث في معرفة أسامي الارضين وجميع ما فيها
الرابع في أسامي الغياض والاشجار وأنواع الفواكه والزروع

الخامس في الابل وأوصافها السادس في معرفة ذوات الحوافر
من الخيل والبغال وغير ذلك السابع في ذوات الاظلاف
الثامن في الطيور والسباع وأسماي جميع الهوام التاسع في
أسماء الصناعات وأدواتهم العاشر في معرفة أصناف الناس وفيه
فنون مختلفة قال صاحب الكشاف انه ذكر اللغات ثم فسرها
بالفارسية

وللامام نجر الدين محمد بن عمر الرازي كتاب معالم السنين في
أصول الدين يشتمل على خمسة أنواع من العلوم المهمة الاول
علم أصول الدين الثاني علم أصول الفقه الثالث علم الفقه
الرابع أصول معتبرة في الخلاف الخامس أصول في آداب
المناظرة والجدل

ومما يليق ذكره هنا كتاب مفتاح العلوم للعلامة السكاكي
المتوفى سنة ٦٢٦ فانه حصل له شهرة لم يماثله فيها كتاب قط
واستمرت مدة قرن ونصف واعتنى به العلماء شرحا وتعليقا وتلخيصا
حتى ان صاحب كشف الظنون استغرق في ذكر شروحه
وتلخيصاته وحواشيه ثلاث صفحات من القطع الكبير وقد
أربت شروحه على المائة وكان عدد الذين تلخصوه أكثر من
الذين شرحوه وان لم يشتهر الا تلخيص القزويني الذي شرحه
سعد الدين التفتازاني

واعلم أن الفيلسوف البغدادي موفق الدين عبد اللطيف بن

يوسف المشهور المتوفى سنة ٦٢٩ ألف كتابا تزدان بذكره هذه
الصحف وهو (الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي) فانه
كتاب مبسوط في نحو عشر مجلدات
وأما كتاب (ينايع العلوم) فهو لقاضي القضاة شمس الدين
أحمد بن الخليل بن سعادة المولى ذكر فيه انه جمع كتابا في
سبعة فنون وذكر في كل فن منها سبع لطائف وسبعها أخرى
للأزكياء أما الفنون فالتفسير والحديث والفقہ والادب والطب
والهندسة والحساب فهو من كتب السبعيات وفرغ من تأليفه
في سنة ٦٣٠

وللقاضي محمد بن أحمد ذي القنون الخويزي المتوفى سنة ٦٩٣
كتاب أفاليم التعاليم في القنون السبعة التفسير والحديث
والفقہ والادب والطب والهندسة والحساب فهو يشبه كتاب
ينايع العلوم

وقد صنف ابن شبيب الحراني الحنبلي نجم الدين أحمد بن
جدان بن شبيب المتوفى سنة ٦٩٥ كتابا في هذا الباب سماه
جامع العلوم وقد يسمي أيضا جامع القنون
وقد سبق لنا ذكر كتاب العالم واللغة فما أجددنا الآن بان نلحقه
بكلام عن (لسان العرب) الذي شرعت المطبعة الاهلية في
طبعه في هذا العصر وأتمت منه ستة عشر جزءا اتحنت بهم
المشركين وطلاب اللغة ثم أكدت لهم الوعد بانها ستعمل على

انجازه في أقرب وقت وما ذلك عليها بعزير * ذلك الكتاب مؤلف في اللغة على غط الصحاح والقاموس وهو لشيخ الاجل جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الانصارى الخزرى الافريقى المصرى المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١ أو سنة ٧١٦ الاول على قول صاحب أجد العلوم كما رواه عند ترجمته في الصحيفة ٧٠٧ من كتابه (١) كما نص عليه صاحب تاج العروس في خطبة كتابه والثانى على ما حققه صاحب كشف الطنون * قال صاحب الكشاف انه في ستة مجلدات ضخام وقال صاحب تاج العروس انه ثمان وعشرون مجلدا وقال صاحب البلغة انه في الاصل ثلاثون مجلدا * وقد اطاعت عليه في خزانة الكتب التى بمطبعة بولاق الاهلية فاذا هو في مجلد ضخام جدا بحرف دقيق في غاية الجمال والنسخة في نهاية الحفظ والبهاء موشاة بنقوش ذهبية مغلانة بمجلد حوى أنواع الطرافة والمثانة وقد علمت أنها ملك مكتبة القسطنطينية وأن الحكومة المصرية استحضرتها منها على

(١) وس الغريب ان صاحب أجد العلوم قال في كتابه التسمى (البلغة في أصول اللغة) ان ابن منظور ولد في محرم سنة ٦٩٠ وتوفى سنة ٧٧١ أعنى انه أحر تارىخ الولادة تسعين سنة وعل كذلك بتارىخ الوفاة وقال صاحب تاج العروس انه ولد في سنة ٦٣٠ ويكون عدعاش على قول الاول ٨١ سنة وعلى قول الثانى ٧٨ وعل هذا هو منبع الخطأ الواقع في البلغة فان مؤلفه نص في الأجد على ان ولادته كانت في محرم سنة ٦٣٠

سبيل العارية رغبة في تصحيح الكتاب وطبعه على أحسن مثال
وأكل منوال وتاريخ كناية هذه النسخة هو سنة ٦٨٠ هجرية
وهذا الكتاب هو أتم الموائنات التي صنفت في اللغة وهو مرجع
العلماء والعمدة العول عليه بين أهل هذا اللسان وقد فاق
القاموس بعشرين ألف مادة فإنه يحتوي على ثمانين ألفاً
لا يشوبها الاثني قليل جدا من أسماء الاماكن والرجال بحيث
يمكن أن يقال انه هو الجامع لاشتات هذه اللغة الضام
لمتفرقاتها فضلا عما ازدان به من كثرة الشواهد التي أوردنا
من الكتاب الحكيم والحديث الشريف وأقوال عرب البادية
تبييننا لمواقع الكلام وتعييننا لمختلف المعاني التي يتناولها اللفظ
الواحد - واليك عبارة نقتطعها من خطبة الكتاب للدلالة على
موضوعه والسبب في وضعه قال (ورأيت علم اللغة بين رجلين
إيمان أحسن جمعه ولم يحسن وضعه وأما من أجاد وضعه ولم
يجد جمعه ولم أجاد في كتب اللغة أبجل من - تهذيب اللغة -
لابي منه ورولا أكمل من - التكميل - وهما من أهيات
كتب اللغة على التحقيق غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك
ومنهل وعسر المسلك وكان واضعه شرع للناس موقفا عذبا
ومنعه منه قد أنخر وقدم وقصد أن يعرب فأجم فأهمل
الناس أمرهما وانصرفوا عنهما وليس لذلك سبب الا سوء
الترتيب وتخليط التفاصيل في التبريب ورأيت الجوهري قيد

أحسن ترتيب مختصره نغف على الناس أمره فتداولوه غير
انه في جوة اللغة كالذرة وفي بحرها كالقطرة وهو مع ذلك قد
صحف وحرف فأنج له الشيخ ابن بري فتدبع ما فيه فاستخرت
الله تعالى في جمع هذا الكتاب على ترتيب الصحاح مضمينا اليه
من آيات القرآن والاخبار والامثال والآثار والاشعار ما فيه
حل عقده ورأيت ابن الاثير قد جاء في ذلك بانهاية غير أنه
لم يضع الكلمات في محلها ولا راعى في ذلك زوائد حروفها من
أصلها فوضعت كلا منها في مكانه وجمعت فيه ما انفرق في
كتبهم وأنا مع ذلك لأدعي فيه شافهت أو سمعت أو فعلت
أو وضعت أو رحلت أو نقلت فكل هذه الدعوى لم يترك فيها
الازهرى وابن سيده لقائل مقالا ولعمري انهما قد جمعوا فأوعيا
وليس لى في هذا الكتاب فضيلة سوى انى جمعت فيه
ما انفرق

قال محمد بن أبى شريف وقد وقفت على لسان العرب بخزانة
الاشرف برسباى بمائة الاشرافية بالقاهرة بخط مؤلفه وعليه
خطوط جمع من العلماء بمدحه والثناء عليه منهم أبو حيان
والشهاب محمود * وقد ورد في البلغة نقلا عن السيد محمد
مرتضى انه قال في تاج العروس (وهو) (أى لسان العرب)
مادة شرحى هذا في أغلب المواضع وقد اطلمت منه على
نسخة قديمة يقال انها بخط المؤلف وعلى أول جزء منها خط

الشيخ جلال الدين السيوطي) أقول إن المذكور في تاج العروس الذي تم طبعه في هذه الايام هو انه اعتمد على كثير من كتب اللغة ومنها لسان العرب ثم قال ما هو بالحرف الواحد (وهي النسخة المنقولة من مسودة المصنف في حياته الخ)

وقد كتب الشيخ الرئيس ابن سينا كتابا في اللغة وسمه بلسان العرب في عشرة مجلدات لكنه بقي في المسودة ولم يظهر وقد غلط من نسب اليه كتاب ابن منظور المشهور وقال ابن أبي أصيبعة في طبقات الاطباء عند ترجمة الشيخ الرئيس انه منصفه باصفهان ولم ينقله الى البياض ولم يوجد له نسخة ولا مثله قال ووقع الى بعض هذا الكتاب وهو غريب التصنيف وقال في موضع آخر لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدى أحد الى ترتيبه وقد ذكر قبيل هذا الكلام حكاية تدل على سبب اشتغال ابن سينا باللغة حتى برع فيها وبلغ طبقة قلما يتاح مثلها لمثله فراجعها اذا شئت في الصحيفة السابعة من الجزء الثاني من كتاب طبقات الاطباء المطبوع في المطبعة الوهبية في سنة ١٢٩٤ هجرية الموافقة لسنة ١٨٨٢ ميلادية

واذ كر تذكره الصفيدي الاديب المشهور المتوفى سنة ٧٩٤ فقد شحنتها بمسائل من جميع الفنون والعلوم لا يحصيها الا الله تعالى وجمع فيها نوادر الاشعار واطائف الادبيات نظاما ونثرا

حتى جاءت في ثلاثين مجلدا وهو يحيل عاينها في كثير من كتبه
وتصانيفه

ومن كتب الموسوعات التاريخية المعتبرة كتاب (الجامع المختصر
في عنوان التواريخ وعيون السير) للشيخ تاج الدين علي بن
انجب بن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ
كبير في نحو خمسة وعشرين مجلدا بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦
والذيل عليه لتلميذه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد
المحدث المؤرخ الفيلسوف البغدادي القوطي المتوفى سنة
٧٢٣ وهو كبير في نحو ثلاثين مجلدا عمله للمصاحب
وله أيضا كتاب مجمع الآداب في معجم الاسماء والالاقاب ذكرانه
في خمسين مجلدا

ولابد لنا من ذكر كليات علي كتاب (نهاية الارب في فنون
الادب) فانه تاريخ كبير في ثلاثين مجلدا اشهاب الدين أحمد
ابن عبد الوهاب النويري الكندي المتوفى سنة ٧٣٢ ألفه في
زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون أوله الحمد لله رافع السماء
وفاتق رتقها ومنشئ السحاب ومؤلف ودقها الخ قال وما أوردت
فيه الا ما غلب علي ظني ان النفوس تميل اليه وترتبه علي
خمسة فنون الاول في السماء والآثار العلوية والارض

والعالم السفلى ويشتمل على خمسة أقسام الثاني في الانسان
وما يتعلق به ويشتمل على خمسة أقسام الثالث في الحيوان
الصامت ويشتمل على خمسة أقسام الرابع في النبات ويشتمل
على أربعة أقسام وذيله بقسم خامس من أنواع الطب الخامس
في التاريخ ويشتمل على خمسة أقسام

وهذا موسوعات فرضية يجمل ان تحلى بذكرها كتابنا
هذا وهي (المجموع في علم الفرائض) للشيخ أبي عبد الله شمس
الدين محمد بن شرف الكلائي الفرضي الشافعي المتوفى سنة
٧٧٧ قال فيه هذه كراريس جعت فيها الشارقة وشرحها
والقواعد الصغرى وهي عشرة والمسائل الرياضية في الفرائض
وهي مائة مسألة والمسائل الرياضية في الحساب وهي خمسة
وعشرون مسألة والمسائل الرياضية في الوصايا وهي مائة
مسألة ونزهة النفوس في انكسار السهام على الرأس وهي
خسون مسألة وتعننة أولى النفوس الزكية في المسائل الملكية
وهي ستون مسألة وهذا المجموع ينتفع به المبتدى والمتوسط
والمتهمى وأكبر الناس على الاشتغال به واعتنى به العلماء
شرحا وترتيبا وتعليقا وتهذيبا

ومما ينبغي ذكره في هذا الفصل أيضا كتاب حياة الحيوان للشيخ
كمال الدين بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨ وهو
كما قال صاحب الكشف كتاب مشهور في هذا الفن جامع بين

الغث والسمين لان المصنف فقيه فاضل محقق في العلوم الدينية
لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ (١) وانما مقصده
تصحيح الالتقاط وتفسير الالهام المهمة كما قال في أول كتابه
(هذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه وانما دعاني الى ذلك أنه وقع
في بعض الدروس ذكر مالك الحزين والذبح المنحوس فحصل
بذلك ما يشبهه حرب البسوس فاستخرت الله سبحانه وتعالى في
وضع كتاب في هذا الشأن ورتبته على حروف المعجم انتهى)

(١) أي يسويان في الجهل بعلم الحيوانات وذلك لان الجاحظ رحمه الله تصف كتاب
الحيوان وقال فيه الصفدي ومن وقع على كانه هدا وعالب تصانيفه ورأى فيها
الاستطرادات التي استطردها والانتقالات التي ينتقل اليها والجهالات التي
يعترض بها في غصون كلامه بأدنى ملائمة علم ما يلزم الاديب وما يتعين عليه من
مشاركة المعارف وهو قال حاجي خليفة بعد ان أورده في العبارة ان ما ذكره الصفدي
من اسناد الجهالات الى الجاحظ صحيح وقع فيما يرجع الى الامور الطبيعية فان
الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة لاس من اهل هذا الفن وهو كما رأيت هدا
الكلام من قول اع الصفدي في كتاب قطر العيث المسجوم على لامية الهم للشيخ
عبد الرحمن الشافعي العلواني الطبيب فانه أورده عن معنى بيان لاول حيث قال
(ومن وقع على كتاب الحيوان للجاحظ وعالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات
التي يستطردها والانتقالات التي يدقل اليها والجهالات التي يعترض بها في غصون
كلامه ويدرجه في أسماء عماره بأدنى ملائمة وايسر مشابهة علم ما يلزم
الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف انتهى) فان قوله الحمل التي يعترض
بها الخ أوقع في الكلام وأنسب للمقام وأوفق للسياق من قول حاجي خليفة
(الجهالات التي يعترض بها) وحيث أن ذلك الحمل لانتقاده وربما كانت حاجة تحتمه
في صدره فأوردها هو من غير مناسبة وان كانت حقيقية - طبقة على الواقع

وذكر أنه جمع من خمسمائة وستين كتابا ومائة وتسعة
وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبيرى
وصغرى فى كبره زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا قول فى الابد
ومن تأمل كتاب حياة الحيوان ورأى ما أودعه فيه من
الفوائد والغرائب علم فضله

ولهذا الكتاب مختصرات كثيرة وقد قال فيه بعض ملخصيه
(وهو الشيخ الدمامينى من تلاميذ المؤلف) إنه كتاب حسن فى بابه
جمع ما بين أ- كالم شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد
بارعة وأمثلة سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبه وأسرار
غريبة لكنه طویل فى بعض أماكنه ووقع فى بعضه مالا يليق
بعلمه فاختر منه عينا وسماه عين الحياة وأعداه الى أحد
ملوك الهند * وقد اختصره الشيخ عمر بن يونس بن عمر الحنفى
وذكر فيه انه اقتصر من الحيوان على خواصه ومعناه اللغوى
وأضاف الى ذلك ما وجد فى خريدة العجائب ولم يخرج عن
المعنى المقصود * وقال السخاوى عند الكلام على حياة
الحيوان انه نفيس مع كثرة الاستطراد فيه من شئ الى شئ
وأقبح أن فيه ما هو مدخول لما فيه من المناكير وقد جرده
الناسى ونبه على أشياء مهمة يحتاج الاصل اليها انتهى * وقد
اختصره السيوطى أيضا وقال انه حذف من حشوه كثيرا
وعرض منه أمرين أحدهما زيادة فائدة فى الحيوان الذى

ذكره والثاني ذكر ما فاته من الحيوان ملتقطا من كتب اللغة
وسماه ديوان الحيوان وقد ترجم هذا الكتاب بزيادات الى اللغة
التركية للسلطان سليم القديم
وللسيخ شرف الدين بن المقرئ اسمعيل بن ابي بكر اليميني
المتوفى سنة ٨٣٧ كتاب اسمه (عنوان الشرف الوافي في الفقه
والنحو والتاريخ والعروض والقوافي) وهو على ما في كشف
الظنون كتاب بديع الوصف في مجلد صغير أوله الحمد لله ولي
الحمد ومستحقه الخ وذكر السخاوي ان سبب تأليفه انه كان
يطمع في قضاء الاقضية بعد الحمد الشيرازي صاحب القاموس
ويتحامل عليه بحيث ان الحمد عمل للسلطان الاشرف صاحب
اليمين كتابا اول كل سطر منه ألف فاستعظمه السلطان فعمل
الشرف هذا كتابه هذا والتزم ان يخرج من أوله وآخره
ووسطه علوما غير الفقه الذي وضع الكتاب له ولكنه لم يتم في
حياة الاشرف فقدم لولده الناصر فوقع عنده وعند سائر علماء
عصره ببلاده موقعا عجيبا وهو مشتمل مع الفقه على نحو
وتاريخ وعروض وقوافي وفي المنهل لم يسبق اليه مثله يحتوى
على فنون خمسة من العلوم فالاول أسطره بالحجرة عروض وما
هو بعده بالحجرة أيضا تاريخ دولة بني رسول وما هو بين
التاريخ وأواخر السطور بالحجرة نحو وأواخر السطور قوافي
وقال السيوطي وقد عملت كتابا على هذا النحو في كراسة

في يوم واحد وسميته الصفحة المسكية والتحفة المكية * وقد ألفه في مكة وفيه نحو وبديع ومعان وعروض أوله أحمد الله المبدئ المرجع الخ جفاء في مائة وستة وستين سطرا وصنف القاضي بدر الدين محمد بن محمد المعروف بابن كيل الدمياطي المتوفى سنة ٨٧٨ على نَمَط عنوان الشرف بزيادة علمين وذكر ان لابن المقرئ خمسة ابيات من نظمه ان قرئت طردا كانت مدحا أو عكسا كانت ذما وان ابن المقرئ تجبجج بها لعدم سبقه فنظم ستة وأربعين بيتا كذلك

وقد شرعت مطبعة المقتطف في طبع عنوان الشرف جزاء ما الله عن الآداب خيرا وقد رأيت نسخة منه مطبوعة في احدى مطابع حلب منذ قليل من السنوات

هذا وقد رأيت لعبدالله افندي الوصاف كتابا حرره مضاهيا به عنوان الشرف وقد طبع في دار الطباعة العاصرة في مدينة القسطنطينية المحمية في سنة ١٢٧٩ هجرية جفاء في احدى عشرة صحيفة باعتبار كل صحيفة واحدة لان من قرأ الرسالة الفقهية التزم ان يقرأ السطر الاول من الصحيفة الاولى والاوّل من الصحيفة الثانية ثم الثاني من الصحيفة الاولى وهو من الصحيفة الثانية وهكذا وهذه الرسالة الجميلة موضوعة في علم النغم وسطورها أفقية مستوية كالعادة في طبع الكتب وعليها ستة سطور عمودية فيها كلمات مفردة هي سائرة مع السطور

المستوية ولكنها اذا جمعت في السطر العمودي الاول وتليت
كانت عبارة عن متن في الحكمة وفي العمود الثاني متن من
المنطق وفي الثالث متن من الكلام وفي الرابع متن من النحو
وفي الخامس حكاية فارسية والسادس حكاية تركية

وكان المؤلف رحمه الله منتصبا في مسند المشيخة الجليل على
عهد ساكن الجنان المرحوم السلطان عثمان خان الثالث
واشتهر في عصره بالعلم والمعرفة والادب واللاطف وكان تأليفه
لهذا الكتاب في أيام شبابه في سلطنة المرحوم السلطان الغازي
أحمد خان الثالث وصدارة المرحوم ابراهيم باشا

ولمحمد بن أحمد بن الياس الحنفي كتاب اسمه الدر المكنون في
سبع فنون رتبها على سبعة أبواب فن الاشعار البديعة وفن
الدوييت وفن الموشحات وفن المواليا وفن الكان وفن القوافي
وفن الازجال والخاتمة فيما قيل في الحماق وقد فرغ من تأليفه
في رجب سنة ٩١٢ وهو أيضا من الكتب السبعيات

وكتاب الوثي المصون واللؤلؤ المكنون في علم الخط الذي بين
الكاف والنون وهو عبارة عن موسوعات واسعة في علم
الحفر والحروف أورد فيها مؤلفها ستمائة علم وثلاثة وعشرين
علما وصاحب هذا الكتاب هو رجل اسمه أحمد بن محمد صنقه

لاملك المظفر

وتظير هذا كتاب العلم المخزون في علم الخواص وهو مجلد على
أجزاء مشتمل على ثلاثمائة كتاب كما قيل
ومثله (عيون الحقائق وكشف الطرائق) ذكره في الجفر وهو
على ثلاثين بابا كل باب في علوم غريبة وجعل فيه ساسانية
ونيرنجيات وشعبذة ونحو ذلك وخواص أدوية مفردة *ومثله
الجامعة وهو كتاب في الجفر منسوب الى الامام جعفر الصادق
وتم كتاب اسمه فرائد الفوائد في فنون غير واحد لاجد بن علي
ابن احمد بن داود البلوي ولانعلم عنه شيئا غير اسمه
ومثله (المجموع اللطيف) للشريف أمين الدولة محمد بن محمد بن
هبة الله الحسيني الافطسي النسابة جمع فيه النوادر والفوائد
من كل فن لاعلى ترتيب

ومثلهما مجمع الفرائد ومنبع الفوائد للشيخ تقي الدين بن علي
المقرزي المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ كل منه نحو ثمانية مجلدات
كالتذكرة

وقد تقدم لنا ذكر شيء من الكتب السبعيات فنتبعها الآن
بكتاب من الثمانيات وهو (مدينة العلم) لمحمد بن أحمد المعروف
بمحافظة عجم المتوفى سنة ٩٥٧ جعله على ثمانية أقسام أورده في
كل قسم منها اعتراضا على ثمانية من الفحول كالزمنشري
والبيضاوي والتفتازاني والسيد وصاحب الهداية وأمثالهم
واعلم ان كتب التفسير الكبيرة كلها او معظمها يمكن ادراجها

في

في ضمن الموسوعات الخاصة وذلك لان الكتاب المجيد جاء
حاويا لكل طرف من المعقول والمنقول جامعا لانواع العلوم
وأشتات الفنون وحسبنا برهاننا على ذلك قوله عز وجل
(ما فرطنا في الكتاب من شيء) وهذه قضية ثابتة وحقيقة
واضحة قد تقررت في الازهان ولا تحتاج الآن الى البيان
ولذلك اتسع المجال أمام أئمة التفسير فغاصوا بحار المعارف
وجاسوا خلال الفنون وقيدوا ما وصلوا اليه في كتبهم الجليلة
حتى استفاضت فيها يتابع الحكمة واستطالت أفنان الفنون
وأخصها بالذكر كتاب مناتج الغيب المعروف بالتفسير الكبير
للإمام الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ فانه تعمق في مباحثه ونظر
في العلوم بجميع أنواعها ولم يقتصر على بيان المعاني القرآنية
والالفاظ الغريبة والعبارات الغامضة وهذا ليس بالأمر الذي
يستغرب من الرازي رحمه الله فان له عدة موسوعات مهمة
ذكرنا بعضها فيما تقدم وكلها تدل على فضل الرجل وسعة
اطلاعه واقدقال في مقدمة التفسير المذكور (لانه مر على لساني
في بعض الاوقات ان سورة الفاتحة يمكن ان يستنبط من فوائدها
ونفائسها عشرة آلاف مسألة فاستبعد هذا بعض الحساد
وقوم من أهل الجهل والعي والعناد وجملوا ذلك على ما أفوه
من نفوسهم من التعليقات الفارغة عن المعاني والكلمات
الحالية عن تحقيق المعاهد والمباني فلما شرعت في هذا الكتاب

قدمت هذه المقدمة لتصير كالبينة على ان ما ذكرناه أمر ممكن
الحصول قريب الوصول) ثم بين كيفية هذا الاستنباط بترتيب
عجيب وله تفسير الفاتحة في مجلدين سماه مفاتيح العلوم
ومن جملة التفاسير التي تستحق الذكر أيضا تفسير ابن جرير
الطبري المتوفى سنة ٣١٠ قال السيوطي في الاتقان وكتابه
أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح
بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يتوق بذلك على
تفاسير الاقدمين اه وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم
يصنف مثل تفسير الطبري وقال أبو حامد الاسفرايني (١) لو
سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن
ذلك كثيرا وروى ان ابن جرير هذا قال لأصحابه أتنشطون
لتفسير القرآن قالوا كم يكون فقال ثلاثين ألف ورقة فقالوا هذا
مما يفنى الاعمار قبل تمامه فاخصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة

(١) نسبة الى اسفراين وهي بكسر الهمزة ويا-واحدة كما ضبطها ابن خلدون
وبفتح الالف ويائين ثنتين كما ضبطها باقوت وقد قال في الماموس ما نصه (اسفراين
بكسر الهمزة والمثناة التحتية بلد بجزر اسان) وفي هذا المقام قال الشيخ نصر الهوريني
ما نصه (قوله اسفراين بكسر الهمزة الخ الذي في الشهاب على الشفاء اسفراين
بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء والراء وألف بعدها همزة مكسورة وتونون بلدة
بالجهم نسب اليها أئمة واذا أطلق الاسفرايني فالمراد به الامام الاصولي المتبحر في
سائر العلوم المعروف بالرهيد والورع وهو أبو اسحق الخ لكر الذي في ابن خلدون
باء حقيقية لاهمزة اه

ذكره ابن السبكي في طبقاته وقد ترجمه بعضهم الى النارسية
لمنصور بن نوح الساماني * ومثله تفسير الامام الحافظ قوام
السنة أبي القاسم اسماعيل بن محمد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥
المسمى بالجامع في التفسير وهو مبسوط في نحو ثلاثين مجلدا
وكذلك تفسير الامام الجويني أبي محمد عبد الله بن يوسف
النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٤٣٨ وهو كبير فسر فيه كل
آية بعشرة أوجه ولذا قال الداودي المالكي في طبقات
المفسرين انه يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية
وقد فسر بعض العلماء القرآن الكريم في منظومة كبيرة جدا
تبلغ مائة ألف بيت وثمانية آلاف بيت ولكن كثير من العلماء
أنكروا عليه ذلك واستهجنوا منهجه

وهذه الكتب التي ذكرناها لك كلها على طريق السنة ولا يخفى
ان الشيعة لهم كتب طاعة بهم تنطبق على مذهبهم ومن
ذلك كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ فقيه الشيعة
ومصنفهم أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى
سنة ٥٦١ قول حاجي خليفة انه رآه وانه على طريق الشيعة
وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع

وهناك كثير من الشروح التي تستحق الذكر في هذا المقام
لتوسع أصحابها في شرح المتون التي عنوا بها واستطرداهم في
بيان العلوم والمعارف لاقبل مناسبة وعلاقة نذكر من ذلك

أهمها وأتمها وهو شرح كتاب نهج البلاغة المنسوب إلى سيدنا
على كرم الله وجهه فإن الامام عز الدين بن هبة الله المدائني
الكاتب الشاعر الشيعي المشهور شرحه شرحا ضافي الذبول
حتى بلغ عشرين مجلدا وتوسع في المسائل والمباحث توسعا كثيرا
ونسب العلوم كلها إلى سيدنا على كرم الله وجهه وبين كيف أنها
تسعد من نهج البلاغة وهو شرح معتبر جدا ويوجد منه نسخة
جميلة بخط اليد محفوظة في المكتبة الخديوية العامرة وقد
طبع في بلاد الهند * وقد ترجم العلامة دوساسي الفرنسي
(في الجزء الاول من كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع
الشدور من منظوم ومثور) اسم هذا الكتاب بما يشعر أنه
موضوع في علوم البلاغة حيث قال ان عز الدين هذا شرح في
عشرين مجلدا كتاب علوم البلاغة المسمى بنهج البلاغة وهو
وهم يعرفه من له أقل اطلاع على هذا الكتاب

ومثل ذلك أيضا مقصورة ابن دريد صاحب جهرة اللمعة المتوفى
سنة ٣٢١ وتشتل على ٢٢٩ بيتا في المدح والوصف والتشويق
الى الاخوان وقد نالت من الثنات العلماء حفا كبيرا فقد اعترف
بشرحها خلق كثيرون وأجود شروحا وأبسطها شرح الفقيه
أبي عبد الله المعروف بابن هشام اللخمي وسماه الفوائد المحصورة
في شرح المقصورة قال فيه رأيت كثيرا من أهل الادب
قد صرفوا لمقصورة ابن دريد عنايتهم واهتمامهم لسهولة

الفاظها ونبل أغراضها واشتمالها على نحو الثلث من المقصور
ولما ضمنها من المثل السائر والخبر النادر والمواعظ الحسنة
والحكم البالغة وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء فما شقوا
غبارها ولا بلغوا مضماره وهو عند أهل الادب أشعر العلماء
وأعلم الشعراء وانتدب جماعة قديما وحديثا لشرح مقصوده
فهم المذهب الممل والمختصر المختل * وقد شرحها شرحا
متوسطا أودع فيه لطائف من العلم وأبوابا من الادب

ومن هذه الشروح المهمة أيضا كتاب الغيث المسجّم في شرح
لامية العجم للصفدي فإنه أفاض في ذكر العلوم العربية
والفلسفية وأتى بلمع وافية من علم الكيمياء عند القدماء ومن
علم الافلال ومن فنون الادب وشجون العجم والعرب وذكر
فيه شيا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد
والهزل وعلى هذا الشرح حاشية وقال بعضهم في وصفه إن
الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائدها (أى من فوائد
لامية العجم) الا أظهرها غير أنه ينتقل فيه من علم الى علم
ومن غريبة الى غريبة كأنه تمسك بقول القائل

لا يصلح النفس ان كانت مولية * الا التنقل من حال الى حال

فهو غريب في باب عزيز عند طلابه وقال غيره ان الصفدي
شرحها فأوعى وأوعب وأطرب وأسهب وأعجب وأغرب وأطلق
أعنة الاقلام وجر أذيال فضول الكلام وأسهل وأوعر وأنجد

وغور واستطرد من فنون الى فنون واسترسل في شجون الحد
والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للفجر عن التحصيل هذا
مع ما خرج فيه عن الحد وطغى الماء المد من مستهجنات هزله
التي لا تليق بقلمه وفضله مما لا يحل ذكره وايداعه بل تحل بالعدالة
روايته وسماعه

وهناك كتب كثيرة تدخل في عداد هذه الانواع ولكن بكل
عن حصرها واستيفائها اليراع فلذلك نضرب عنها صنفا ونطوى
على بقيتها كشفا خوفا من الاطالة والملالة وتكلم على اخوان
الصنما كما وعدنا فان اكمل الوعد من كمال العبد

فصل

(في رسائل اخوان الصفا)

قد رأيت أن أطيل القول على هذا الكتاب وأوفيه حقه من
الشرح والبيان لمناسبة انتشاره واشتهاره على إثر طبعه حديثا
بالهند وبمصر بعد أن لم يكن يوجد منه سوى نسخ تعد على
الاصابع وامرى انه جدير بالعناية لانه يدلنا على حالة المعارف
العقلية عند العرب بعد انتشار الدين الاسلامي الجميل بزمن
قليل

اشتهر هذا الكتاب بين بني الآداب وعلا قدره وطار صيته

حتى صار موضوعا لحديث القوم في كل ناد يهيمون بالماذا كره
في تاريخه وأصله في كل واد وما تجلت عرائس الحقيقة الانقز
من نخبة الافاضل المدققين فاستجلبوها وضمنوا بها على المتسائلين
فحملني ذلك على التنقيب في دفاتر الاوائل والاواخر حتى تيسر
لي بعون الله جمع خلاصة تميظ النقباب عن حقيقة هذا الكتاب
فأقول

لم يظهر يد هذا الكتاب في أفق المعارف حتى تراحم عليه
الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعزوا بقراءته والاعجاب
به مدة طويلة من الزمان ولقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه لكونهم
كثروا أسماءهم فزادوا بذلك فضل الكتاب واهتمام الباحثين
حتى بلغ صيته المشارق والمغارب وتنبه اليه العلماء وقدروه
حق قدره فقد رأيت أثناء مطالعاتي ومراجعاتي عبارة في ترجمة
الطبيب ابي الحكيم الكرمانى القرطبي أحمد الراشدين في علم
العدد والهندسة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء
نقلا عن القاضى صاعد وهى « . . . ورحل الى ديار المشرق
وانتهى منها الى حران من بلاد الجزيرة ثم رجع الى
الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها ووجب معه
الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا ولانعلم أحدا أدخلها
الاندلس قبله »

فهذا القول يدل على جليل مكانتها وعظيم أهميتها التي جعلت
العلماء يقيسون تاريخ دخولها واسم من أتى بها في ربوع
العالم بالأندلس وسنستعين به فيما سيجي معنا من التحقيق
الدقيق ان شاء الله

ولقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فاحلوه محلها
الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتبنيي عليها وكان السابق لهم
في حلبة هذا المضممار العلامة سائقستر دوسامى المشهور فانه
كتب عليها خلاصة وجيزة باللغة الفرنسية

وقد طبعت هذه الرسائل في سنة ١٨١٢ مسيحية بمدينة
كالكتة بالهند تحت عنوان (تحفة اخوان الصفاء) والذي
راجعها وبأثر طبعها هو الشيخ أحمد بن محمد شروان اليميني
وفي سنة ١٨٣٧ طبع العلامة نوثر ك في برلين خلاصة على
رسائل اخوان الصفاء تكلم فيها عليهم وعلى كتابهم ونقل منها
شياً باللغة العربية وامامه ترجمته بالالمانية

وللمعلم فريدريخ ديتريصى الالماني كتاب في ثلثية اجزاء
بحث فيه عن العلوم الفلسفية عند العرب في القرن العاشر
للمسيح (القرن الرابع للهجرة) واعتمد في كتابه كله على رسائل
اخوان الصفاء وقد طبعه في برلين من سنة ١٨٥٨ الى سنة

١٨٧٩

أقول انه أشبهه في صنيعه هذا رجلا من الخراسانيين ألف

كتاباً بعنوانه (مجل الحكمة) واليك ماقاله صاحب الكشف
عنه (فارسي في حكمة الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات
والالهيات وأكثره رموزاً انتخبه رجل من الخراسانيين بحذف
الحشو وايضاح الرمز كما في رسائل اخوان الصفاء ونقله بعضهم
من الفارسي الى التركي)

واعلم ان المعلم ديتريصي المذكور قد طبع في سنة ١٨٨٦
بمدينة برلين كتاباً اسمه (خلاصة الوفاء في اختصار رسائل
اخوان الصفاء) وباشر تصحيحه فانه من المتجربين في الفنون
واللغات المشرقية واليك ماقاله في آخر الكتاب بحروفه (ان
النسخات التي نقل عنها هذا الكتاب كثيرة التحريف والتصنيف
وهو يشتمل على زبدة الكتاب وخلاصة ما يلزم معرفته من
مواده) وهو مرتب على غير ترتيب الكتاب الاصل لان
مختصره (١) راعى في ذلك اسلوباً احسبه اجود وأفضل من
الاول وادخل في باب الكمال

فانه ابتدأ بالكلام على مبادئ الموجودات وأصول الكائنات
ثم نضد العالم فالهياولى والصورة فاهية الطبيعة فالارض والسما
ثم اعقب ذلك بالكلام على وجه الارض والتغيرات فيه

(١) لم نذكر على اسم الذى اختصر الكتاب ولكن الطريقة التي اتبعها في الترتيب
تدل على زيادة فضله وغرارة علمه

ثم الكون والفساد ثم في الآثار العلوية ثم السماء والعالم
ثم شرح الاسطر ونوميا الذي هو علم النجوم ثم تكوين المعادن
ثم علم النبات ثم أوصاف الحيوانات ثم مسقط النطفة وكيفية
رباط النفس بها ثم تركيب الجسد ثم الحاس والمحسوس ثم
العقل والمعقول ثم الصنائع العمالية ثم الصنائع العلمية ثم
العدد وخواصه يعني الارثمطيقى ثم الجومطريقى (الذي هو علم
الهندسة) ثم الموسيقى ثم علم النسب العددية والهندسية
والتأليسية ثم المنطقيات فعانى الالفط العشرة (المعروفة
بالمقولات العشرة) ثم قاطيغورياس وبارى ارمينياس وأنولوطيقا
الاولى وأنولوطيقا الثانية ثم بيان اختلاف الاخلاق ثم طبيعة
العدد ثم تكلم على ان العالم انسان كبير وان الانسان عالم
صغير ثم شرح الكون والادوار وتكلم على ماهية
البعث والنشور والقيامة وأفاض بعد ذلك في الكلام على
أجناس الحركات والعمل والمعلولات والحدود والرسوم حتى
تخلص الى بيان اعتقاد اخوان الصناء وكيفية عشرتهم ثم
أورد في آخر الكتاب فهرست الرسائل وماهية اغراض
اخوان الصناء

وهذا كله دليل كاف يعلمك بمكانتها من نفوس العلماء ومقامها
عند جمهور الفضلاء في مشارق الارض ومغاربها
ولا يعزب عن بال القارئ اليب ان الاعمال العظام والتأليف

المعتبرة ونوابغ الرجال قد كانت وستكون في جميع الأزمان
والبلاد عرضة لسهام الطعن والانتقاد ولا تكاد تخلو من ذلك أمة
من الأمم والشواهد كثيرة ليس هذا محل بيانها بل إن هذه حقيقة
مقررة لا ينكرها الأمن يطلب الدليل على ثبوت النهار وتلك هي
سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً إذا ثبت ذلك فأعلم
إن هذه الرسائل حازت قبولا كثيراً عند جماعة من الناس كما
استوجبت لأصحابها السخط واللعنة عند فريق آخرين ونحن
لا نتشيع لأحد المذهبيين بل نترك الحسب لمن يطلع عليها في
إبداء رأيه والاتصار لأربابها أو التحامل عليهم ونورد له كلاماً
يعينه على تعيين حكمه ويرشده في أمره

فأكبر دليل على عناية العلماء بالتنقيح والتنقيب عن أمر هذه
الرسائل هو ما رأيتُه أثناء البحث والمراجعة في كتاب تراجم
الحكماء للوزير جمال الدين أبي الحسن القنطري المتوفى سنة
٦٤٦ المترجم في كتاب الخطط الجسدية التوفيقية فإنه أفرد لها
فصلاً مخصوصاً في حرف الألف (١) كأنها اسم أحد الفلاسفة
الذين أتى على ذكر أخبارهم وأحوالهم في كتابه وقد أوردني

(١) وكذلك فعل صاحب كشف اصطلاحات العلوم فإنه أفرد لها كلاماً في حرف
الألف أوردته باللغة العارسية وهدى ترجمته (هم جماعة من الأصدقاء العقلاء
والأخوان الألباء سلوا من شوائب الصدورات البشرية وتحلوا بأوصاف
الكلمات الروحانية) وأعله يصف بذلك أخوان الصفاء على العموم

هذا الفصل كلاما طويلا ضمنه الرسالة (١) التي كتبها أبو حيان التوحيدى الى الوزير صمصام الدولة فانها تحتوى على

(١) العجب كل العجب انى رأيت هذه الرسالة ممقولة بالحرف الواحد في العدد الحادى عشر من السنة الثامنة من جريدة روضة المدارس فان محررها حضرته على ذلك فهمنى نجل العلامة الخلد الاثر رفاعه بان مصدرها هذا العدد وقال انها علم تحرير الروضة مع انها موجودة في كتاب تراجم الحكماء المحفوظ بالكتبخانه الخديوية ولا أعلم كيف جورا نفسه ان يثبت في الروضة هذه العبارة (ولم أزل شديد البحث والتطلب لد كرمصغفها حتى وهفت على كلام لابي حيان التوحيدى الخ) فان البحث والتطلب يجور حصوله منه وان كان السابق له المقطعى وبلك هى عبارة بالحرف الواحد فهل يصح ان يقول انه ورد على خاطر محرر الروضة ان يكشف عن أمر رسائل احوال الصفاء كما صح ذلك للمقطعى من قبل ثم لم يفتح عليه ديرا العبارة التي أوردها المقطعى كله وحرفا حرفا هل يعمل ان يكره ما لو ارد على ايراد الدياتحة بصورة واحدة ومعنى واحد . ان صح ذلك كان حقيقة من أعرب العرائث التي يسمع بها الانسان بل يقول عنها حديث خرافة يأمر عمرو . والذي أذهب اليه ان محرر لروضة قل الرسالة ترمها من كتاب تراجم الحكماء وأنها فى جريدته من غير أن يعرفها حرفا واحدا . بذلك على ذلك انه حتمها بهذه العبارة (قال المؤلف ثم ان أباحيان ذكر تمام الماطرة بينهما فتركمه اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف انتهى) مع انه لم يشر الى المؤلف ولا الى المؤلف قطتى وصل القارئ الى هذه العبارة اختلط عليه الكلام ودخلته الريسة وظن أن فى الامر دخيله والحقيقة ان هذه العبارة بهذا اغيرها للمقطعى نقلها من الكتاب الذى أشار اليه بموله (ولم أزل شديد البحث والتطلب . . . حتى وقفت على كلام لابن حيان الخ) فان ذلك يشعر بانه نقلها من كتاب وان لم يصرح باسمه فجاء صاحب الروضة ونقلها كما هى وباليتة اختصر هذه الرسالة وتصرف فيها بما كان يجعله آمنا من التعقب والمواخذة وان كان السهم نقدا

ايضاحات وارشادات مفيدة في بابها ولا بد منها لكل من طاب
الوقوف على حقيقة هذه الرسائل وهذه هي

(اخوان الصفا وخلان الوفا)

هولاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب في أنواع الحكمة
الاولى ورتبوه مقالات عدتها احدى وخسون مقالة خمسون
منها في خمسين نوعا من الحكمة والحادية والخمسون جامعة
لانواع المقالات على طريق الاختصار والايجاز وهي مقالات
مشوقات غير مستقصاة ولاظاهرة الادلة والاحتجاج وكانها
للتنبية والايحاء الى المقصود الذي يحصل عليه الطالب انواع
من أنواع الحكمة ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس
في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين
فقوم قالوا هي من كلام بعض الائمة من نسل علي بن أبي
طالب ككرم الله وجهه واختلفوا في اسم الامام الواضع
لها اختلافا لا يثبت له حقيقة وقال آخرون هي تصنيف بعض
متكلمي المعتزلة في العصر الاول ولم أزل شديد البحث والتطلب
لذكر مصنفها حتى وقفت على كلام لابي حيان التوحيدى
جاء في جواب له عن أمر سأله عنه الوزير صمصام الدولة ابن
عضد الدولة في حدود سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وصورته
قال أبو حيان حاكيا عن الوزير المذكور: حدثني عن شيء هو

أهم من هذا الى وأخطر على بالي انى لأزال أسمع من زيد
ابن رفاعه قولاً يرينى ومذهباً لاعهدلى به وكناية عمالاً أحقه
واشارة الى ما لا يتوضح شئ منه يذكر الحروف ويذكر اللفظ
ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الاسبب والتاء لم
تنقط من فوق اثنتين الالفة والالف لم تهمل الالغرض واشباه
هذا وأشهد منه فى عرض ذلك دعوى يتعاطم بها ويفتنخ
بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغنى يا أبا حيان
انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر ممتجة
ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وأمكن اطلاعه على
مستكن رأيه وخافى مذهبه فقلت أيها الوزير أنت الذى تعرفه
قبلى قديماً وحديثاً لا اختبار ولا استخدام وله منك الامرة القديمة
والنسبة المعروفة قال دع هذا وصفه لى فقلت هناك ذكاء
غالب وذهن وقاد ومنتسع فى قول النظم والنثر مع الكتابة
البارعة فى الحساب والبلاغة وحفظ أيام الناس وسماع المقالات
وتبصر فى الآراء والديانات وتصرف فى كل فن اما بالشد الموهوم
واما بالتوسط المفهم واما بالتساهى المنعم (١) حال فعلى هذا
مامذهبه قلت لا ينسب الى شئ ولا يعرف له حال حيث انه

(١) اذا كانت هذه صفة تريد بن رفاعه وهو أحد احوال الصفاء بل خادمهم كما
يجبى فى قيمة الكلام وبالك باحوال الصفاء أنفسهم . . لاجرم انهم كانوا على
جانب عظيم من الفضل والعلم

تكلم في كل شئ وغليانه في كل باب ولاختلاف مايسدو من
بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا
وصادق بها جماعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو
سليمان محمد بن مشعر البستي ويعرف بالقدسي وأبو الحسن
علي هارون الزنجباني وأبو أحمد المهرجاني والموافي وغيرهم
وصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصبة قد تآلفت بالعشرة
ونصفت بالصدقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة
فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز
برضوان الله وذلك أنهم قالوا ان الشريعة قد دنست بالجهالات
واختاطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا
بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتنادية والمصلحة الاجتهادية
وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة
العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع
أجزاء الفلسفة عليها وعلمها وأفردوا لها فهرسة وسموها رسائل
اخوان الصفا وكتبوا فيها أسماءهم وبثوها في الوراقين وروبوها
للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال
الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموحة قال الوزير فهل
رأيت هذه الرسائل قلت قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة
من كل فن بلا اشباع ولا كفاية وهي خرافات وكليات
وتلفيقات وتزيقات وجملت عدّة منها الى شيخنا أبي سليمان

المنطقي (١) السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها أياما وتجرها طويلا ثم ردها على وقال تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجروا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهالوا ومشطوا فقلقلوا ظنوا مالا يكون ولا يمكن ولا يستطيع ظنوا أنهم ~~ي~~ يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والاقلاك والمقادير والمجسطى وآثار الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي هو اعتبار الاقوال بلاضافات والكميات والكميفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في انفسهم وهذا حرام دونه جدد وقد تورك على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحداً أياباً وأحضر أسباباً وأعظم أقدارا وأرفع أخطارا وأوسع قوى وأوثق عرى فلم يتم لهم ما أرادوه ولا بلغوا منه ما أمهوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات وانحمة موحشة وعواقب مخزية فقال له النجاري بن العباس ولم ذلك أيها الشيخ فقال ان الشريعة مأخوذة عن الله عزوجل بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي أثناءها مالا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبه عليه وهناك يسقط لم

(١) هو الذي اقتبس عنه أبو حيان أشياء كثيرة في كتابه المعروف بالمعاني مراجع هذا الكتاب تعلم فضل الرجل ومكانه من العلم

ويطال كيف ويزول هلا ويذهب لووليت في الريح لان
هذه المواد عنها محسومة وجلتها مشتملة على الخير وتفصيلها
موصول على حسن التقبل وهي متداولة بين متعلق بظاهر
مكشوف وصحيح بتأويل معروف وناصر باللغة الشائعة وحام
بالجدل المبين وذات بالعمل الصالح وضارب للمثل السائر وراجع
الى البرهان الواضح ومتفتحه في الحلال والحرام ومستند الى
الاثر والخبر المشهورين بين أهل الملة وراجع الى اتفاق الامة
ليس فيها حديث المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات
الافلاك ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها وما
يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وما الفاعل وما
المتفعل منها وكيف تمازجها وتنافرها ولافيها حديث
المهندس الباحث عن مقادير الاشياء ولوازنها ولا حديث
المنطقي الباحث عن مراتب الاقوال ومناسب الاسماء والحروف
والافعال قال فعلى هذا كيف يسوغ لاخوان الصفا ان
ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة في
طريق الشريعة على ان وراء هذه الطوائف جماعة أيضا لهم
مأخذ من هذه الاغراض كصاحب العزيمة وصاحب الكيمياء
وصاحب الطاسم وعابر الرؤيا ومدعى السحر ومستعمل الوهم
فقال ولو كانت هذه جائزة لكان الله تعالى ينبه عليها وكان
صاحب الشريعة يقوم شريعته بها ويكملها باستعمالها

ويتلافى نقصها به هذه الزيادة التي تجدها في غيرها أو يحض
المتفلسفين على إيضاحها بها يتقدم اليهم باتمامها ويفرض عليهم
القيام بكل ما يذب عنها حسب طاقتهم فيها ولم يفعل ذلك بنفسه
ولا وكاله الى غيره من خلفائه والقائمين بدينه بل نهى عن
الخوض في هذه الاشياء وكثره الى الناس ذكرها وتوعدهم
عليها وقال من أتى عزافاً أو كاهناً أو منجماً يطلب غيب الله منه
فقد حارب الله ومن حارب الله حارب ومن غلبه غلب وحتى
قال لوان الله جيس عن الناس القطر سبع سنين ثم أرسله
لاصحت طائفة كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح وهذا كما ترى
والمجدح الدبران ثم قال ولقد اختلفت الامة ضروباً من
الاختلاف في الاصول والقروع وتنازعوا فيها فنونا من التنازع
في الواضح والمشكل من الاحكام والحلال والحرام والتفسير
والتأويل والعيان والخبر والعادة والاصلاح فما فزعوا في شئ
من ذلك الى منجم ولا طيب ولا منطقي ولا هندسي ولا موسيقي
ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء لان الله تعالى تم
الدين بنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يحوجه بعد البيان الوارد
بالوحي الى بيان موضوع بالرأى وقال **وكما** لم تجده هذه
الامة تفزع الى أصحاب الفلسفة في شئ من أمورها فكذلك
ما وجدنا أمة موسى صلى الله عليه وسلم وهي اليهود تفزع
الى الفلاسفة في شئ من دينها وكذلك أمة عيسى صلى الله

عليه وسلم وهي النصارى وكذلك المجوس قال ومما يزيدك وضوحا ان الامة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافا فيها وفرقا كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والسنية والخواارج فما فزعت طائفة من هذه الطوائف الى الفلسفة ولا حققت مقالاتها بشواهدهم وشهاداتهم -م وكذلك الفقهاء الذين اختلفوا في الاحكام من الحلال والحرام منذ ايام الصدر الاوّل الى يومنا هذا لم نجدهم تطاهروا بالفلسفة واستنصروهم وقال وأين الآن الدين من الفلسفة وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل من الشيء المأخوذ بالرأى الزائل فان أدلوا بالعقل فالعقل موهبة الله جل وعز لكل عبد ولكن بقدر ما يدركه ما يعاينه كما لا يخفى عليه ما يتلوه وليس كذلك الوحي فانه على نوره المتشعر وبيانه المتيسر قال ولو كان العقل يكتفي به لم يكن للوحي فائدة ولا غناء على ان منازل الناس متفاوتة في العقل انصباؤهم مختلفة فيه فلا تكنا نستغنى عن الوحي بالعقل كما كيف نضع وايس العقل بأسره لواحد منا وانما لجميع الناس فان قال قائل بالعنت والجهل كل عاقل موكول الى قدر عقله وليس عليه ان يستفيد الزيادة من غيره لانه مكفي به وغير مطالب بما زاد عليه قيل له كفاك عارا في هذا الرأى انه ليس لك فيه موافق ولا عليه مطابق ولو استعمل انسان واحد بعقله في جميع حالاته في دينه ودينه لاسـتعمل أيضا بقوته

في جميع حاجاته في دينه ودنياه ولكن وحده يفي بجميع
الصناعات والمعارف وكان لا يحتاج الى أحد من نوعه وجنسه
وهذا قول مرذول ورأى مخذول قال التجارى فقد اختلفت
أيضا درجات النبوة بالوحى واذا ساغ هذا الاختلاف بالوحى ولم
يكن ذلك تاما له ساغ أيضا فى العقل فقال يا هذا اختلاف
درجات أصحاب الوحى لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة من
اصطنعهم بالوحى وخصهم بالمناجاة واجتباهم للرسالة وهذه
الثقة والطمأنينة مفتودتان فى الناظرين بالعتول المختلفة لانهم
على بعد من الثقة والطمأنينة الا فى الشئ القليل وعوار هذا
الكلام ظاهر وخطل هذا المتكلم بين قال الوزير فما سمع شيا
من هذا المقدسى قلت بلى قد ألتيت اليه هذا وما أشبهه
بالزيادة والنقصان وبالتقديم والتأخير فى أوقات كثيرة بحضور
الوراقين بياب الطاق فسكت وما رآنى أعلا للجواب لكن
الحريرى غلام ابن طرارة هيجه يوما فى الوراقين بمنزل هذا
الكلام فادفع فتسال الشريعة طب المرضى والفلسفة طب
الإصحاء والأنبياء يطبون للمرضى حتى لا يترايد مرضهم وحتى
يزول المرض بالعافية فقط وأما الفلسفة فانهم يحنظون الصحة
على أصحابها حتى لا يعترتهم مرض أصلا فبين مدبر المرضى
وبين مدبر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف لان غاية تدبير
المرضى ان ينتقل به الى الصحة هذا اذا كان الدواء ناجعا

والطبع قابلا والطبيب ناصحا ونغاية تدبير الصحيح ان يحفظ الصحة
وإذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرغها لها وعرضه
لاقتنائها وصاحب هذا الحال فائز بالسعادة العظمى وقد صار
مستحقا للحياة الالهية والحياة الالهية هي الخلود والديمومة
وان كسب من يرى من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا
فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل لان احدهما
تقليدية والاخرى برهانية وهذه مظنونة وهذه مستيقنة وهذه
روحانية وهذه جسمانية وهذه دهرية وهذه زمانية. قال المؤلف
ثم ان أباحيان ذكر تمام المناظرة بينهما فاطال فتركته اذ ليس
ذلك من شرط هذا التأليف والله الموفق للصواب (انتهى)

وقد رأيت في كتاب جلاء العينين في محاكاة الاجدين تأليف
السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسى البغدادي المطبوع
بيولاقي سنة ١٣٩٨ هجرية كلاما على هذه الرسائل منقولاً
من كشف الظنون ومن شرح عقيدة السفاريني وهاهو بالحرف
الواحد : هي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها الى جعفر
الصادق رضي الله تعالى عنه ترويجا وقد صنف بعد المائة
الثالثة في دولة بني بويه املاها أبو سليمان محمد بن نصر البستي
المعروف بالمقديسي وأبو الحسن علي بن هرون الزنجباني وأبو
أحمد النهرجوري والعرفي زيد بن رفاعه كلهم حكماء اجتمعوا
وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك

الشريعة المطهرة وفي فتاوى الشيخ ابن حجر مانصه نسبتها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل وانما الصواب ان مؤلفها مسلمة ابن قاسم الاندلسي (١) كان جامعاً لعلوم الحكمة من الالهيات والطبيعات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها واليه انتهى علم الحكمة بالاندلس وعنه أخذ حكاؤها وتوفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وعن ذكره ابن بشكوال وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وعن شدد النكير عليه ابن تيمية لكنه يفرط في كلامه فلا يعتبر بجميع ما يقوله اه قال صاحب جلاء العينين فتدبره وأنصف وأقول اني طالعت كثيرا من الرسائل المذكورة فرأيتها كما أشار الشيخ ابن تيمية وانها مشوبة بالتصوف المشوب بفلسفة المتفلسفين والابحاث التي تمجها اسماع المشرعين ولربما يفوح منها ريح المتشيعين فان أردت كمال الوقوف عليها فارجع اليها وانعم ما قيل

رسائل اخوان الصناء كثيرة * ولكن اخوان الصفاء قليل^(٢)

انتهى كلام صاحب جلاء العينين
فقد صدر الآلوسى كلامه عن هذه الرسائل بانها أصل مذهب القرامطة وأقول ان من اطلع عليها وخصوصا الجزء الرابع منها ونظر في خطط المقرئى وسقينة الراغب وكشاف

(١) ذلك ليس بصواب ويستعلم الحقيقة فيما أسأرده عليك من المبدأ الصادق والقول اليقين (٢) يذكر في هذا البيت بقول الحماسي
اولئك اخوان الصفاء رزقهم * وما لكف الا اصبع ثم اصبع

اصطلاحات العلوم ودائرة المعارف وغير ذلك من كتب علماء
المشرفيات الذين تكلموا على الاسماعيلية الذين هم القرامطة
رأى ما يحققه هذا القول لكن العبارة في هذه الكتب واضحة
صريحة وهي في اخوان الصفا دقيقة لا يكاد يدركها الا من
تنبه اليها اونه عليها فتلا الرسائل على بصيرة

ومما يدل على ذلك ويؤكد لك صحة هذا النظر اني رأيت في
الجزء الخامس من جرنال آسيا (Journal Asiatique)
الصادر في يناير سنة ١٨٥٥ المحفوظ بالكتبخانة الخديوية
فصلا هذه ترجمة عنوانه (بحث جديد على الاسماعيلية أو
الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين (١) وفي علاقاتهم على
الخصوص مع ممالك الفرنج بالشرق) وقد قال صاحب هذا
الفصل المفيد في عرض كلامه مانعريه

(ان سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل
وأخف رؤساء الاسماعيلية قد خدم في المموت المقدمين الذين
كانوا قبله وزاول علوم الفلسفة وأطال نظره في كتب الجدل
والخلاف وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفا)

(١) وردت هذه الكلمة في الكتب الاسلامية القديمة المعتبرة مثل ابن الأثير
وعر عنها صاحب كتاب الروضتين بالحشيشية واحدها حشيشي ولما أراد الفرنج
نقلها الى لغتهم اختاروا اللفظة الأولى فقالوا Assassins (أساسان أو
أساسين) ولما شاعت عندهم اختلفوا في بيان اشتقاقها على أقوال أشهرها انها
مأخوذة من كلمة حشيش وهو الاصح لان اللفظ العربي يؤيد هذا الاشتقاق وقد
دخلت هذه اللفظة في لغاتهم أيام الحروب الصليبية ورسمها كتبهم ومؤلفوهم

فان تخصيص هذه الرسائل بالذكر والنص عليها دون غيرها يدل صراحة على ان هذا الرئيس انما كان يهيم بمطالعتها وبهم بمراجعتها لكي يقتبس منها تعاليمه ويستمد منها ما يؤيد سلطته في عشرته وعلى ذلك يكون مؤلفوها ممن فحوا فحوا الاسماعيلية

بكيفيات شتى وصور متعددة هدموا مدة طويلة الى انها منحوتة من اسم حسن بن الصباح الذي كان اول مقدم عليهم في بلاد فارس ثم عرفوا خطأ ذلك وان قواعد اللغة العربية لا تساعد على مثل هذا النحت وذهب توماس هيد الى انها مشتقة من فعل حس فانه عربي ومن معانيه القتل ولذلك كانت كلمة Assassins تدل الآن عند الافرنج على القاتلين أى الذين يرتكبون جريمة القتل عمدا مع سبق الاصرار ووافقه على ذلك المؤرخ الكابدر مارا في سيرة صلاح الدين وانما دعاهم الى التضارب في الآراء عدم ابتداء الكلمة الافرنجية بحرف H الذي يقابله الحاء والهاء في العربية ولكنهم لورجعو الى كتبهم القديمة التي ألفت في أيام الحروب الصليبية لرأوها مرسومة هكذا Hassassins ولذلك كان جمهور الباحثين المحققين على ان الكلمة مشتقة من لفظة حشيش لان شيخ الجبل (هذا هو اسم الرئيس الاكبر عندهم ويسمى بالافرنجية Le vieux de la montagne وفيه تسامح) كان يدعو الفداوية الذين يرى فيهم الاستعداد لانقاذ مقاصد عشرته ثم يأمر عماطاتهم الحشيشة حتى يفقدوا الحواس ويريهم حينئذ نعميم الجنة في جنان أعدت لذلك ثم يأمر باعادتهم ومتى زال تأثير الحشيشة كان الواحد منهم يعتقد انه ذاق لذة النعيم فعلا وشاهد الفردوس الموعود به عيانا فينقاد حينئذ الى رئيسه انقيادا لاعمى ويسمى في تنفيذ جميع أوامر رغبة في الرجوع الى النعيم المقيم فلا بدع اذا لقبوا بالحشاشين وأفسدها الصليبيون ففعلوها حساسين ثم أساسين (Assassins) فان السين والشين يكثران في النقل من اللغات الى بعضها بل في اللغة الواحدة ولا يمتد بقول من ذهب من الافرنج الى ان لفظة أساسين عندهم محرفة عن أساسين جمع أساس بمعنى حارس وانهم انما سمو بذلك من ادعاهم بحراسة البلاد من السرقات

وذهبوا

وزهبوا مذهبهم وقالوا بمقالاتهم وقد ذكر صاحب كشف
الظنون (بعد ان أورد أسماءهم التي صرت عليك في رسالة
التوحيدى) أنهم كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا احدى وخسين
رسالة ولم يزد على هذا وقد اعادت الجهود الجهد في تطلب
ترجمتهم ومعرفة أخبارهم وشؤونهم والوقوف على سيرتهم
وانظرت كثيرا في كتب التواريخ والطبقات فلم يسعنى القدر
يلوغ الوطر ولكنى أقول ان إطناب أبى حيان فى مدح زيد بن
رفاعة كما رأيت فى ما تقدم يـدلك دلالة ضمنية على فائق فضلهم
وواسع اطلاعهم وقد ساعدتني المقادير أثناء البحث الطويل
والمراجعة المتوالية فرأيت صاحب كشف الظنون يقول ان
لابى الحسن العوفى وهو من أصحاب اخوان الصفا رسالة فى
(أقسام الموجودات وتفسيرها) قال وهى لطيفة ذكرها
الشهرزورى فى تاريخ الحكماء

وعلى ذكر مؤلفى هذه الرسائل نسوق الحديث الى نبأ غريب

وموضوع تحارفيه الالباب

وذلك ان هذا الكتاب قد تم طبعه كله ببلاد الهند فى هذه الايام
ولكن باللعجب وبالغرابة فقد ورد فيه اسم مؤلفه
فهو يتصور القارئ صحة ذلك مع علمه باشتغال العلماء بلا طائل
من زمان طويل للوقوف على معرفة واضعى هذه الرسائل
وليس بغريب أن يستولى الذهول على قارئ هذه السطور

أومن يطلع على الكتاب المذكور فقد قيل في آخره ان المؤلف هو رجل يدعى أحمد بن عبد الله (ولا أرى أن هذا الاسم الا مرادفا لهي بن بتي) والاعرب من هذا وذلك قوله بأن الرجل مترجم في كتاب اسمه عيون الاخبار لمن يدعى ادريس عماد الدين مع أن هذا الكتاب أنزلا عين وليس له مسمى في الوجود فاني لما رأيت ذلك أخذ العجب مني فأخذه فشرعت أتحرى الامر لا كون على بينة وبصيرة من هذا المشكل الذي ليس له في بابيه مثيل وقد تحققت بأن هذه العبارات انما هي تلفيق ومحض اختلاق وذلك لانني كابدت مشقة عظيمة في البحث عن أمر هذا الكتاب المزعوم والرجل الموهوم وكل ما يتعلق به مما هو مدون زورا وبهتانا بآخر تلك الطبعة ولما لم أعثر على شيء وداخلتني الريبة واختلنت عندي الظنون كاشفت به هذا الامر أحد العارفين فقال لي ان الحقيقة على خلاف ماورد بهذه الطبعة وان أصحاب المطبعة انما اضطروا لاختلاق مثل هذه الاكاذيب التي ما أنزل الله بها من سلطان ليحتملوا طبع الكتاب وبيعه في بلاد الهند فان القوانين هناك تحفظ للمؤلفين ولورثتهم من بعدهم حقوق الطبع كما هو الشأن في بلاد اوروبا فلما شرع أصحاب هذه المطبعة في نشر الرسائل التي نحن بصدد الكلام عليها أرادوا أن يختصوا برمجها دون سواهم ويقفلوا باب المزاحمة على من عداهم فجأوا برجل

وقالوا

وقالوا انه من ذرية المؤلف وأخذوا منه رخصة تخولهم
وحدهم طبع الكتاب ونقدوه في نظير ذلك ما طابت به نفسه
وبهذا انتفع الرجل وانتفع أصحاب المطبعة بنوال الاحتكار
فهذا هو السبب في التلبس والتدليس

وأما الطبعة التي أخذت فيها مطبعة الاداب في العام الماضي
ولم ينرغ منها الى اليوم سوى جزء واحد مع طول انتظار الناس
لباقى الاجزاء يوما فيوما فهي خالية من التوجيهات في من ألف
ومن خالف كما جاء في طبعة الهند وغاية ما يقال فيها ان حضرة
محرر الآداب نقل في المقدمة (١) التي كتبها في صدر هذا
الكتاب عبارة قال انها للوزير القفطى ومن مقتضاها ان رسائل
اخوان الصفاء من تأليف المجربى وأقول ان هذا منافي
للحقيقة مخالف للصواب لان القفطى لم يشر الى مثل هذا
فضلا عن النص عليه في كتاب (تراجم الحكماء) وهو بالكتبخانه
الحدوية لمن يريد من الباحثين والمحققين الذين يعينهم هذا

(١) وقد لخص في رسالة التوحيدى ولم يشر الى انه نقلها من مصدرها الذي هو
تراجم الحكماء بل نقل عبارة هذا الكتاب كما فعل على بن مهمى وروصه سنة
١٢٩٤ هـ «ولم أرل شديدا للبحث والتطلب بل كرمصفيها حتى وهمت على
كلام لابي حيان الخ» ادلا يقدران يقول انه عثر على كلام التوحيدى الا في
تراجم الحكماء أو في روضة المدارس التي نقلت منه ولا يقدران يقول انها موجودة
في كتاب مختصر الدول لابن حكيم الذي قال عنه انه أورد جواب ابي حيان بالانحجار
قال هذا الكتاب غير متيسر الا الآن

الامر ثم ان هذه الرسائل ليست للمجريطى كماستراه بعيد هذا
نعم ان حضرة الشيخ قال في آخر جلته وقد علمت أن رسائل
اخوان الصفا التي ألفها المجريطى هي غير هذه . وذلك عقيب
قوله « وبعد ان شاع اسم (١) هذه الرسائل بالاندلس
وتطلعت لها علماء الغرب ألف أبو محمد مسلمة المجريطى القرطبي
رسائل على مثالها وكتب اسمه فيها الخ » وهو قول نطالبه عليه
بالدليل ولا تأخذه منه قضية مسلمة فان مثل هذا مما يهم
المؤرخين نقله والمؤرخون لما ذكروا أن تلميذ المجريطى هو أول
من أدخل الرسائل الى الاندلس ما تكلموا في شئ من هذا القبيل
وما أشاروا الى هذا المعنى أصلا مع أن عبارتهم تدل على عنايتهم
بأمر هذا الكتاب

وقد قال محرر الآداب في مقدمته أيضا مانصه « وفي كتاب
المقابسات أن زيد بن رفاعه وجماعة من كبار فلاسفة الاسلام
كانوا يجتمعون في منزل أبي سليمان النهرجورى وكان شيخهم
وان لم يحز شهرتهم وكانوا اذا اجتمع معهم أجنبي التزموا الكليات
والرموز والاشارات قال واعل كيفية اجتماعاتهم هذه هي التي
أرابت مصاصم الدولة حتى أوجس من زيد بن رفاعه وهو شيخه
خيفة » انتهى وهو قول يؤيد أنهم من الاسماعيلية
واعلم انى قد راجعت ترجمة الحكيم أبي القاسم مسلمة بن أحمد

(١) الا ان شيوخ الاسم لا يدل على شيوع المسمى فتابعه

ابن عمر بن وضاع المرحيطى المعروف بالمجريطى فى كثير من
المكتب والتواريخ فمأرايت شيأ يدل على أنه وضع رسائل اخوان
الصفاء أو كتابا على نطها فتدذكره جم غفير من العلماء ولم يقل
أحد فى سيرته قولا ينطبق على هذا الرأى وأقوى دليل أورده
مكتفيا به عما سواه ان أبا الحكم الكرماني هو أول من جلب
الى الاندلس الرسائل المعروفة باخوان الصفا كما علمت ذلك مما
سبق بيانه فى أول هذا الفصل والنظائر أن الذى أوهم
بعض القوم أن هذه الرسائل للمجريطى قوله فى كتابه الذى
سماه رتبة الحكم فى علم الكيمياء « وقد قدمنا من التأليف
فى العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها
فيها استيعابا لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا ألبتة وقد
شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت اليهم فتنافسوا فى النظر
اليها وحضوا أهل زمانهم عليها ولا يعلم من ألف ولا أين ألف
غير الخذاق منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم اياها
واستعذابهم لالفاظها علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم
الذى هم فيه ولا يعلمون من ألفها وكل ذلك من تلك التأليف
مبسوط المرسوم » انتهى

فالظاهر أنهم لما اطلعوا عليه قالوا ان الرسائل التى يذكرها انما
هى المعروفة برسائل اخوان الصفاء وهو وهم فانه يقول انه
استوعب فيها العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعابا لم

يتقدمه فيه أحد من أهل عصره وليست رسائل اخوان الصفا
كذلك كما علمت وتعلم ان شاء الله وأيضا فقول ان هذه الرسائل
شاعت بين أهل عصره وظهرت اليهم فتنافسوا فيها وحضوا
أهل زمانهم عليها وان الحذاق دأبوا على مطالعتها وعلموا أنهم من
تأليف زمانهم يؤيد ما قلناه من وهم القوم فانه يقال اذا كانت
هذه الرسائل التي يقول بشيوعها بين أهل عصره هي رسائل
اخوان الصفاء وقد كان الرجل اندلسيا فأى معنى بعد لتقول
المؤرخين بأن الكرمانى أول من أدخل رسائل اخوان الصفا
الى بلاد الاندلس حاملا لها من المشرق الا أن يقال ان هذا
الشيوع كان بالمشرق ودونه خرط القتاد

وقد قال المجرى أيضا وكل ذلك من تلك التأليف مبسوط
المرسوم كأنه أراد أن يؤكد ما قاله قبيل هذا من أنه استوعب
في هذه الرسائل العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعابا
لم يتقدمه فيه أحد مع أن ذلك مخالف لما نراه في الكتاب
المعروف برسائل اخوان الصفاء المتداول بيننا الآن وذلك
لان من أجال جواد الناظر في هذه الرسائل وجدها يصدق
عليها ما قاله القفطى من أنها مشوقات غير مستقصاة وكأنها
للتبويه والائمة وينطبق عليها ما قاله أبو حيان التوحيدى من
أنها مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية وتؤكد من
موافقتها لما قصده أصحابها اذ قالوا في موضع

«واعلم يا أخي أنك الله انما نذكر في كل علم شبه المقدمة
والمدخل الى ما فيه ليكون تحريضا لآخواتنا على التمييز فيه
والشوق اليه لأن بالشوق الى شيء يكون الحرص على
الاطلاع عليه»

وقالوا في موضع آخر

«اعلم يا أخي انما نورد من العلوم في كتبنا ورسائلنا ما يكون
تذكية للعقول وتنبيهها للنفوس فأخذنا من كل علم بقدر ما اتسع
له الامكان وأوجبته الزمان وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من
أحسن ما قدرنا عليه ووصلنا اليه ولذلك وضعناه وأثبتناه
وأوردناه لآخواتنا أيدهم الله وإيانا ورضينا لهم مارضينا لانفسنا
اذ كنا كلنا روحا واحدة وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يكمل للمؤمن ايمانه حتى يرضى لآخيه ما يرضاه
لنفسه وقال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه الخ»

فهذه الاقوال كلها تناقض ما صرح به المجريطى مناقضة كلية
وحيث لا يصح القول بان الكتاب الذي يشير اليه هو رسائل
اخوان الصفا الذي بين أيدينا الآن وغاية ما أراه في هذا الشأن
أن لهذا الحكيم كتابا آخر أو كتبا متعددة لم يضع اسمه عليها
فلما رأى الناس عبارته في رتبة الحكيم وكانوا يبحثون على مؤلف
رسائل اخوان الصفا بغير جدوى ظنوا أنهم أدركوا الطلبة

وأصابوا الغرض فنسبوا له هذه الرسائل من غير ماعتن ولا تدبر
وهنا نذكر أمرا آخر لا يخفى من الغرابة وهو أن المجريطى لم
يذكر في عبارته التي أوردتها قبيل هذا أسماء الكتب التي
أطنب في مدحها والتنبيه عليها فليت شعري ما هو الباعث الذي
دعاه في أول الأمر إلى كتم اسمه عن مصنفات جليله تآقت
إليها نفوس أهل عصره وشغفوا بمطالعتها ثم ما هو الداعي الذي
جعله يصرح أخيرا في كتابه (رتبة الحكيم) بأنه هو الذي صنّف
تلك الكتب

ولعل هذا التصريح من المجريطى هو الذي جعل صاحب كشف
الظنون على القول بوجود كتاب آخر اسمه رسائل اخوان الصفاء
لهذا الحكيم وأنه صنّفه على مثال الرسائل المعروفة المشهورة
بهم بالاسم وإذا اعتبرنا هذا القول بميزان البحث والاعتبار وصلنا
إلى ملحوظة لطيفة وذلك أن هذا الحكيم توفي سنة ٣٩٥ كما قاله
حاجي خليفة ولا شك أن هذه الرسائل كانت موجودة في سنة ٣٧٣
كما يتضح من كلام أبي حيان ومن ذلك يستنبط أن أصحاب
الرسائل الشرقية المتداولة الآن كانوا معاصرين للمجريطى
وإن وقت تأليف رسائلهم يقارب الوقت الذي ألف فيه هو
رسائله على هذا النمط (لأن صاحب الكشف قال إن رسائله غير
رسائل اخوان الصفاء وإنما على نطها) ولعل المجريطى صنّف
رسائل ولم يضع لها اسما كما كتم اسمه فيها وهذا كان سببا لتسمية

بعضهم لها حين رآها برسائل اخوان الصفاء تشبيها لها برسائل
المشرق لان الاتفاق في التسمية أيضا فوق الاتفاق في النمط وكنتم
الاسم من الامور المستبعدة بل المتعذرة

وهنا ترى فضل صاحب الكشف واضحا فانه لم يخلط بين
الكتابين ولم ينسب كتاب المشرق الى المجريطى كما فعل كثير
من العلماء بل قال بوجود كتاب آخر بهذا الاسم وأورد كلمتين
من خطبته فلا بد أن يكون اطلع على الكتاب ولكن اذا كان
هذا الكتاب موجودا حقيقة فكيف لم ينبه عليه القاضى صاعد
لما ذكر أن الكرماني هو أول من أدخل رسائل اخوان الصفاء
الى الاندلس وانه لا يعلم أحدا أدخلها فيه قبله فان هذا
الكلام يدل كما قدمنا على عناية كبيرة بشأن الكتاب واذا كان
ذلك كذلك وكان المجريطى مؤلفا لكتاب به هذا الاسم وهذا
النمط كما يقول صاحب الكشف فلا بد أنه كان ينبه عليه ويقول
ذلك لاسيما وأن صاحب طبقات الاطباء ترجم المجريطى قبل
ايراد هذه العبارة بعصيفة وبضعة أسطر خصصهما لذكر سيرة
ثلاثة من تلامذة المجريطى وعقبهم بترجمة تلميذه الكرماني
وأورد فيها العبارة المذكورة

ومهما يكن فقد ثبت أن الرسائل المتداولة الآن ليست
للمجريطى وانه لا يصح أن يقال بأن له كتابا به هذا الاسم بل
انه اذا ثبت وجود كتاب له بهذا الاسم فيكون الاسم موضوعا
عرضا لامن المؤلف والله أعلم

وقبل ان أختتم المقال في هذا المجال أنبه القارئ النبيه الى رسالة في هذا الكتاب رجاء مطالعتها واقتطاف ثمراتها وتلك هي الرسالة الواحدة والعشرون من الكتاب أو الثامنة من القسم الثاني من الطبيعيات المعروفة برسالة الحيوانات (وقد طبعها العلامة دبتريسى باوروبا على حديثها) فقد احتوت على ضروب المرافعة والمدافعة والمنازعة بين الحيوان والانسان وذلك على شكل عجيب ومنوال غريب فزعموا أن جميع الحيوانات اتحدت كلمتها على اقامة الدعوى على الانسان ومطالبته بالرفق بها والعدول عن ظلمها الى العدل فيها وأن كل فريق من الحيوانات أخذ يرتقى منبر الخطابة ويتفنن في بيان اعتساف الانسان ويناضل عن حقوقه بنبات جنان وقوة برهان يجعل أمامه ما قس وسحبان فيقوم كل فريق من بني آدم ويدحض حجة الحيوانات ويعلم أعضاء المحكمة بشرفه على سائر المخلوقات ويدوم الحال هكذا بين أخذ وردّ ودفاع ونزاع وجدال وخصام وهم لم يخرجوا عن قواين المناظرة ولم يدخلوا في طريق المكابرة بل كل يورد من الشواهد القواطع والحجج الدوامغ ما يؤيد قوله ويزكي فعله ويجعل الحق في جانبه والباطل من طريق صاحبه الى أن تحكم المحكمة بأقفال باب المرافعة وأنها ستنتظر في حسم هذه الواقعة وهناك تنتهى الرسالة بعد أن ينص فيها على أن الحكم هو المقصود من وضع الكتاب وانه ينبغي على الطلاب أن يدرسوا جميع الفصول والابواب لينكشف لهم الحجاب ويتجلى أمامهم الجواب ويفوزوا بحسن العقبي وخير المآب والله أعلم

هـذا ما كتبه حضرة الفاضل الكمال محمود
أفندي أنيس ملتزم طبع الرسالة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وسع علمه كل الاشياء والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وآله وصحبه الاصفياء * (وبعد) * فان خير عمل يشتغل
به العاقل أعوده على قومه بالنتفع وخير منه ما جمع مع هذا
الابانة عما بلغه غابره من مزايا الفضل وان هذه الرسالة
التي أبرزتها فطرة زكية وفكرة ذكية هي خير العملين فقد
أودعها مؤلفها الفاضل من الحقائق الثابتة ما ينجلي به ما بلغه
علماء الاسلام السابقون من القدم الراسخ والكعب العالي
والباع الطائل في أنواع العلوم وأصناف الفنون وما كانوا
يبذلونه من الهمم ويجردونه من العزائم في الوصول الى تذييل
صعابها وامتلاك رقابها وافتتاح أبوابها وما دونه وسطروه
وحرروه وحرروه من كتب جمعت المعارف الجمة والمواضيع العديدة
المهمة فهم ما تركوا جوا الاطاروا فيه وحلّقوا ولا طريقا الا
وخذوا فيه وأعنتوا ۞ هذا كان أمر الشرق في اشراقه بالحضارة
والمعارف حين كان الغرب من التوحش والجهالة في ظلمات بعضها
فوق بعض لا يتنذ اليه من نور التمدن والمعرفة شعاع فالاطلاع

على هذه الرسالة الجليلة ينبه الى فضل ذلك السبق وبعده تلك
الهمم وهو تلك المدارك فيحرك النفوس الشريفة الى المضي
على هذه الآثار والجرى على هذا السنن وقد التمت من
مؤلفها الخازم النبيل المعروف بالبراعة في التأليف والتصنيف
والتصنيف الا وهو حضرة الامجد الابرع اجد افندي زكي مترجم
مجلس النظر ومترجم شرف الجمعية الجغرافية الخديوية ان يسمع
لى بطبعها لينتفع بها الشرقيون فما كان أسرع ما أجاب فشكرت
جيله وان كان هو ما ألفها الاراميا الى هذا الغرض من نشرها
وتعميم الانتفاع بها ولكنه حفظه الله أجب أن يكون لى اسم
فى عداد العاملين على خير قومهم بخزاه الله أحسن الجزاء
والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

محمود أيس

٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٨

* (يقول خادم تصحيح العلام بدار الطباعة البهية بيولاقي مصر المعزية
الفقيه الى الله تعالى محمد الحسيني أعانه الله على أداء واجبه
الكفائي والعيني) *

محمدك يا من فضلت العلماء ونشرت لهم على هام الثقلين أرفع لواء
بذلوا أنفسهم ونفيسهم في خدمة العلم وتصنيفه وأسهر وأعينهم في
تدوينه وتأليفه وترتبوا أقواعه وشيدوا قصوره وقرّبوا متباعده
فهم أشرف الناس شغلا وأرفعهم مقدارا وأبهرهم عملا وأنفعهم -م
فعلا ونصلي ونسلم على نبيك الأكرم ورسولك السيد السند
الاعظم سيدنا محمد الذي حض على تعلم العلم وتعليمه وحفظه وتدوينه
وتنهيه القائل وهو أصدق الناس وأحقهم فأعلاومت كما الدنيا
ملاعونة ملعون ما فيها الاذكر الله تعالى وما والاها وعالم أومتعلما
وعلى آله وصحبه القائلين من بعده بحفظ سنته الناصرين لدينه ومملته
(أما بعد) فلما كان العلم أشرف الاعمال وبخدمته الفوز بالحظ الاوفر
في الحال والمآل أكبتم وفقهم الله تعالى واختارهم من خلائقته
واصطفاهم من بريته على الاشتغال به وتحصيله وتدوين جملة
وتنصيله على كثرة أنواعه وفنونه وعدم النهاية لاصوله وفروعه
ظاهره ومكنونه حتى كثرت الكتب والفنون وخرجت عن نهاية الحد
وأبت وجلت واستحال أن تحصر أو تعد وتعلقت همم بعض من شغفوا
بالاشتغال بالعلم أن يجمعوا ما أحاط به علمهم من أسماء الفنون ووصلت
اليهم يد من الكتب بين شراح وجواش ومتون وأن يدقوا ذلك

في كتاب ليكون تذكرة لأولى الالباب ويذكر وامن ذلك ما اثر و اعليه
من تراجم مؤلفيها وبعض موضوعات الكتب وأوائلها ومن اياها
ظواهرها وخوافيها وامرى انها الفكرة مستحسنة واختراعة بديعة
متقنة تنفع طلاب العلم النفع الجليل ويحصلوا بها ما عسر بدونها
تحصيله وتوصلهم الى ما يعز اليه التوصل وهي من قديم الاختراعات
التي سلك سننها بعض الاجميين ونحائحوها بعض العلماء الاسلاميين
والعربيين كالشيخ الاجل صاحب كشف الظنون في أسماء الكتب
والفنون وعن سلك هذا النهج الحسن ودرج من وانح سببه على
أبج ستنن الجهد بالنظن النجيب والنبية النبيل الاريب نادرة
هذا الزمان وبهجة هذا الآن دقيق الفكر واسع الانظار حضرة
أحمد أفندي زكي مترجم مجلس النظار فانه صنف هذه الفكاهة
الشهية وصاغ هذه الشذرة الذهبية وجعل عنوانها (موسوعات
العلوم العربية) فله ما أدق فكره وأبدع مبتكره فانه جمع في هذه
الرسالة رقعة اللفظ الى دقة المعنى وحسن الوضع الى متانة المبني وتوخى
فيها الاقتصار على ذكر الكتب الجامعة لجميع العلوم اظهارا انضل علماء
الاسلام على أكمل وجه وأجل مرام ولما كانت فريدة في بابها
مترجمة في حلها وجلابها انتدب الى طبيعتها رغبة في عموم نفعها
الجناب المجيد ذوالطالع السعيد الذكي الامعي الرئيس حضرة محمود
أفندي أنيس بالمطبعة العاصرة بيولا ق مصر القاهرة فانتهى
طبعها بحمد الله على أبج أسلوب وأكل مرغوب في ظل الحضرة

الفخيمة المهيبه الخديوية وعهد الطلعة الكريمة المعظمة
التوفيقية أدام الله أيامها ووالى على الرعية انعامها وحفظ لنا
حضرات الانجال الكرام مدى الليالى والايام ملحوظا هذا الطبع
اللطيف والوضع الظريف بتظرم من عليه أخلاقه ثنى حضرة
وكيل الاشغال الادبية محمد بيك حسنى فى أوائل آخر

الربيعين سنة ١٣٠٨ من هجرة سيد

النقلين صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه ملاح بدر تمام

وقاح مسك

ختم

تم

(فهرسة الرسالة)

جميعه

﴿ الفاتحة ﴾

٢ وفيها ماهية علم الكتب وبيان مزاياه وأن الامر نجح أتقنوه وأن العرب أهملوه

﴿ المقدمة ﴾

٥ في انتقال العرب من غيبة الجهالة الى رياض المعارف وسبقهم على جميع الامم واشتغالهم بالتصنيف في جميع اصناف العلوم وسيلع معظم مؤلفاتهم وبيان العرض من هذه الرسالة

(فصل)

٧ في تعريف لفظه انسكوبيديا وبيان اللفظ العربي المقابل لها

(فصل)

٩ في ماهية كتب الموسوعات وبيان تاريخ هذا النوع من التأليف وكيف تم شيوعه

(فصل)

١٢ في الكلام على الموسوعات العامة وذكر الكتب التي اشتملت على اصناف المعارف وفروع العلوم وبيان أن القرن الرابع للهجرة كان مطهره هذه التأليف عند أم الاسلام

٢٨ مسألة الجزر الاصم (في الحاشية)

» ٢٩ كلام على تعريف لفظه اصطريالاب

» ٣٠ تحقيق على لفظه فهرست

٣٦ كتاب دائرة المعارف

٣٧ قصيدتي التاريخ والفقه والطب والحديث والفلسفة

صفحة	
٣٧	قصيدة في الصنائع والفنون
٣٧	قصيدة يائية في أسماء الكتب العلمية
٣٨	تبكي وتنشيط
(فصل)	
٣٩	في الموسوعات الخاصة وهي الكتب التي اشتملت على عدد معين من العلوم
٥٥	كلام على الدميري والمجاhez من حيث علم الحيوانات (في الحاشية)
٦٠	موسوعات في الحفر
٦٠	كلام على كتب التفسير وذ كر بعضها
٦٢	تحقيق على لفظة اسفران (في الحاشية)
٦٣	تفسير على طريق الشيعة
٦٤	كلام على شروح المتون وشرح نهج السلاغة والقصور الدريدية ولامية
الحجم	
(فصل)	
٦٦	في رسائل اخوان الصفاء وبيان اشتغال العلماء بها واحلالهم لها
٧٢	انتقاد على حريدة روضة المدارس (في الحاشية)
٧٣	رسالة أبي حيان التوحيدى
٨١	عبارة الاكوسى في كتاب حلاء العينين
٨٣	عبارة حرنال آسيا
٨٣	تحقيق مفيد على لفظة حشاشين بمعنى القاتلين Assassins
٨٥	طبع هذا الكتاب بلاد الهند حديثا والتمويه بكرا المؤلف في هذا الطبعة
٨٧	طبعه عظمة الآداب وسوق الحديث الى الكلام على المجرى بطى وحل له
	رسائل تدعى رسائل اخوان الصفاء
٩٣	التمويه برسالة الحيوانات من رسائل اخوان الصفاء

(اصحح بعض هذوات)

صواب	خطا	صحيفة	سطر
أبي الخير	أبو الخير	٢٢	١١
أبي الوفاء	أبو الوفاء	٢٩	٩
مستنيضة	مستناضة	٤٠	٦
اذ	اذا	٤٠	١٨
أبا	أبي	٤٤	٢٠
ثمانية	ثمان	٤٩	٩
عشر	عشرة	٥٤	١٠
خمس	خمسة	٥٤	١١
تحك	تحده	٥٥	٢٢
سبعة	سبع	٥٩	١١

آخرى درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔
